الحيدة

مناظرة في مجلس المأمون

للإمام عبدالعزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي
المتوفى سنة ٢٤٠هـ

مكتبة العبيكان

OBEIKAN.COM

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الكناني، عبد العزيز بن يحيى

الحيـــدة . ـ الرياض

٩٣ ص، ١٤X ٢١ سم.

ردمك: ٧ ـ ٠٥٥ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ التوحيد ٢ ـ الإسلام ـ دفع مطاعن أ ـ العنوان

ديوي ٩٠١ ، ٣٤٠ ٣٤٥٨ / ٢٢

ردمك: ٧ ـ ٠٥٥ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٣٤٥٨ / ٢٢

الطبعـــة الأولـــى

(١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢)

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

OBEIKAN.COM

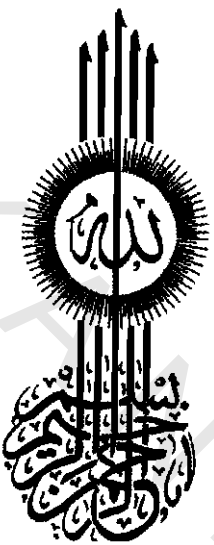

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

المؤلف في سطور :

ـ عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي .

وكان يلقب بالغول لدمامته .

وهو قليل الحديث ، روى عن : سفيان بن عيينة ومروان ابن معاوية الفزاري ، وعبد الله بن معاذ الصّغانيّ ، ومحمد بن إدريس الإمام الشافعي ، وهشام بن سليمان المخزومي .

وروى عنه : أبو العيناء محمد بن القاسم ، والحسين بن الفضل البجلي ، وأبو بكر بن يعقوب بن إبراهيم التيمي .

وصحب الشافعي مدة ، وطالت صحبته واتباعه له ، وخرج معه إلى اليمن ، و آثار الشافعي في كتب عبد العزيز المكي بيّنة عند ذكر الخصوص والعموم والبيان ، كل ذلك مأخوذ من كتاب المُطَّلبي رحمه الله .

وكان من أهل العلم والفضل ، قدم بغداد في أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن ، و هو صاحب كتاب الحيدة ، بالإضافة إلى مصنفات عدة .

حدثنا الجوهري ، أخبرنا محمد بن عمران بن موسى ، حدثنا أحمد بن عيسى المكي ، حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد

OBEIKAN.COM

قال: لما دخل عبد العزيز بن يحيى المكي على المأمون، وكانت خلقته بشعة جداً، فضحك المعتصم، فأقبل عبدالعزيز على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، لِمَ ضحك هذا؟ لم يَصْطَفِ الله يوسف لجماله، وإنما اصطفاه لدينه وبيانه، وقد قص ذلكَ في كتابه بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. لم يقل: لما رأى جماله، فبياني ـ يا أمير المؤمنين ـ أحسن من وجه هذا. فضحك المأمون وأعجبه قوله. وقال للمعتصم: إن وجهي لا يكلمك، وإنما يكلمك لساني.

وتوفي سنة أربعين ومئتين، رضي الله عنه ورحمه الله آمين. والحمد لله رب العالمين [1].

(١) انظر تاريخ بغداد: ١٠ / ٤٤٨، وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٧ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧، وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٦ / ٣١٩.

OBEIKAN.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز بن مسلم بن ميمون الكناني:

اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القرآن وغيره، ودعاية الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه، وتشبيهه على أمير المؤمنين المأمون وعامة أوليائه، وما قد وقع في الناس من المحنة والأخذ بالدخول في الكفر والضلالة ورهبة الناس وتخوفهم من مناظرته، وإحجامهم عن الرد عليه بما يكسر به قوله وتدحض به حجته ويبطل به مذهبه، واستتار المؤمنين في بيوتهم وانقطاعهم عن الصلاة في الجماعات والجمعات، وهربهم من بلد إلى بلد خوفًا على أنفسهم وأديانهم، وكثرة موافقة الجهال والرعاع من الناس على كفره وضلالته والدخول على بدعته والانتحال بمذهبه، رغبة في الدنيا ورهبة من العقوبة التي كان يعاقب بها من خالفه على مذهبه.

قال عبدالعزيز: فأزعجني قلقي وأسهر ليلي وأدام فكري وأطال غمي وهمي، فخرجت من بلدي متوجهًا إلى ربي عز وجل وأسأله سلامتي وتبليغي حتى قدمت بغداد، فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي، ففزعت إلى

الله عز وجل أدعوه وأتضرع إليه راغبًا وراهبًا ، واضعًا له خدي باسطًا إليه يدي ، أسأله إرشادي وتسديدي ، وتوفيقي ومعونتي ، والأخذ بيدي ، وأن لا يسلمني ، وأن لا يكلني إلى نفسي ، وأن يفتح لفهم كتابه قلبي ، وأن يطلق لشرح بيانه لساني ، وأخلصت لله نيتي ، ووهبت له نفسي ، فعجل تبارك وتعالى إجابتي ، وثبت عزمي ، وشجع قلبي ، وفتح لفهم كتابه قلبي ، وأطلق به لساني ، وشرح به صدري ، فأبصرت رشدي بتوفيقه إياي ، وآنست إلى معونته ونصرته ، ولم أسكن إلى مشاورة أحد من خلق الله عز وجل في أمري ، وجعلت أسر أمري وأخفي خبري على الناس جمعًا ، خوفًا من أن يشيع خبري ، ويعلم بمكاني ، فأقتل قبل أن يسمع كلامي ، فأجمع رأيي على إظهار نفسي وإشهار قولي ومذهبي على رؤوس الأشهاد ، والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم ، وذكر كفرهم وضلالتهم وأن يكون ذلك في المسجد الجامع في يوم الجمعة ، وأيقنت أنهم لا يحدثون على حادثة ولا يعجلون عليَّ بقتل ولا عقوبة بعد إشهاري نفسي ، والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق إلا بعد مناظرتي والاستماع مني .

وكان الناس في ذلك الزمان في أمر عظيم ، قد منع الفقهاء والمحدثون والمذكرون من القعود في ذلك الجامع ببغداد وفي

غيرها من سائر المواضع إلا بشر المريسي ومحمد بن الجهم ومن كان موافقًا لهما على مذهبهما، فإنهم كانوا يقعدون يعلمون الناس الكفر والضلال، وكل من أظهر مخالفتهم على مذهبهم أو هم بذلك أحضر فسئل عن قوله، فإن خالفهم وأبى أن يوافقهم على قولهم قتلوه سرًا أو جهرًا، ويحملوه إلى أرض أخرى فيقتل هناك، فكم من قتيل لا يعلم به، وكم من مضروب قد أظهر أمره وكم أجابهم لما دعوا إليه، وتابعهم على قولهم من العلماء خوفًا على أنفسهم لما عرضوه على السيف والقتل، أجابوا جزعًا وفارقوا الحق عيانًا وهم يعلمون لما حذروه من بأسهم والوقوع بهم.

قال عبدالعزيز: فلما كان يوم الجمعة التي عزمت فيها على إظهار أمري وإشهار قولي واعتقادي صليت الجمعة في مسجد الرصافة في الجانب الشرقي منها حيال القبلة والمنبر في أول صفوف العامة، فلما سلم الإمام من صلاة الجمعة، وثبتُ قائمًا على رجلي ليراني الناس ويسمعوا كلامي ولا تخفى عليهم مقالتي، وناديت بأعلى صوتي مخاطبًا لابني وكنت قد أقمته بحيالي عند الإسطوانة الأخرى وقلت:

يا بني، ما تقول في القرآن؟

فقال ابني: كلام الله منزل غير مخلوق.

OBEIKAN.COM

فلما سمع الناس مقالتي وكلامي لابني وجوابه لي هربوا على وجوههم خارجين من المسجد إلا اليسير من الناس خوفًا على أنفسهم؛ وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعونه من قبل، وظهر لهم ما كانوا يكتمونه، فلم يستتم من ابني الجواب حتى جاء أصحاب السلطان فاحتملوني وابني فأوقفونا بين يدي عمرو بن مسعدة وكان جاء ليصلي الجمعة، فلما نظر إلى وجهي وكان قد سمع كلامي ومسألتي لابني وجواب ابني إياي، فلم يحتج أن يسألني عن كلامي، فقال لي:

أمجنون أنت؟ قلت: لا. فقال: فموسوس أنت؟ قلت: لا. قال: فمعتوه أنت؟ قلت: لا، والحمد لله وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة، قال: فمظلوم أنت؟ قلت: لا. فقال لأصحابه: مروا بهما سحبًا إلى منزلي.

قال عبدالعزيز: فحُمِلْنا على أيدي الرجالة حتى أخرجنا من المسجد الجامع، ثم جعل الرجالة يتعادون بنا سحبًا شديداً وأيدينا في أيديهم يمنة ويسرة، وسائر أصحابه قدامنا وخلفنا حتى صرنا إلى منزل عمرو بن مسعدة من الجانب الغربي على تلك الحالة الغليظة، فأوقفنا على بابه حتى دخل، فأمر بنا فأدخلنا عليه وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه، فلما صرنا بين يديه أقبل عليَّ فقال: من أين

أنت؟ فقلت: من أهل مكة. قال: ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ قلت: طلبت القربة إلى الله عز وجل ورجاء الزلفة لديه. قال: فهلا فعلت ذلك سراً من غير نداء ولا إظهار المخالفة لأمير المؤمنين، ولكن أردت الشهرة والرياء والسوء ولتأخذ أموال الناس.

فقلت: ما أردت إلا الوصول إلى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه لا غير ذلك.

قال: أو تفعل ذلك ؟ قلت: نعم. ولذلك قصدت وبلغت بنفسي ما ترى تغريري بنفسي وسلوكي البراري أنا وولدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في كتابه وما أخذه عليّ وعلى العلماء من البيان.

فقال: إن كنت إنما جعلت هذا سببًا لغيره إذا وصلت إلى أمير المؤمنين فقد حل دمك لمخالفتك أمير المؤمنين.

فقلت له: إن تكلمت في شيء غير هذا وجعلت هذا ذريعة إلى غيره فدمي حلال لأمير المؤمنين.

فوثب عمرو قائمًا على رجليه وقال: أخرجوه من بين يدي. فأخرجت بين يديه، وركب من الجانب الغربي، وأنا وابني بين يديه، يعدى بنا على وجوهنا، وأيدينا في أيدي

OBEIKAN.COM

الرجالة، حتى صاروا إلى دار أمير المؤمنين من الجانب الشرقي، فدخل ونحن في الدهليز قيامًا على أرجلنا، فأطال عند أمير المؤمنين ثم خرج وقعد في حجرة له وأمر بي فأدخلت عليه فقال:

أخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت، وما سألت من الجمع بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يديه. وقد أمر ـ أطال الله بقاءه وأعلى أمره ـ بإجابتك إلى ما سألت وجمع المناظرين على هذه المقالة إلى مجلسه ـ أعلاه الله ـ في يوم الاثنين الأدنى، ويحضر معهم ليناظروا بين يديه ويكون هو الحاكم بينكم.

قال عبدالعزيز: فأكثرت حمد الله وشكره على ذلك، وأظهرت الدعاء والشكر لأمير المؤمنين.

قال عمرو: أعطنا كفيلاً بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين، وليس بنا حاجة إلى حبسك.

فقلت له: أدام الله عزك، أنا رجل غريب ولست أعرف في هذه البلد أحدًا ولا يعرفني من أهلها أحد، فمن أين لي من يكفل بي خاصة مع إظهاري مقالتي، لو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي تبرؤوا مني وهربوا من قربي وأنكروني.

قال: فنوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك

اليوم، وتنصرف فتصلح من شأنك وتتفكر في أمرك فلعلك أن ترجع عن غيك وتتوب من فعلك فيصفح أمير المؤمنين عنك.

فقلت: ذلك إليك أعزك الله فافعل ما رأيت. فوكل من يكون معي في منزلي ـ وانصرف.

قال عبدالعزيز: فلما صليت الغداة في يوم الاثنين في المسجد الذي على باب بيتي إذا خليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني ومعه جمع كثير من الفرسان والرجالة فحملني مكرمًا على دابة حتى صار بي إلى دار أمير المؤمنين، فأوقفني هناك حتى جاء عمرو بن مسعدة فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها، ثم أذن لي بالدخول فدخلت فلما صرت بين يديه أجلسني ثم قال:

أنت مقيم على ما كنت عليه أم رجعت عنه؟

فقلت: بل مقيم على ما كنت عليه وقد ازددت بتوفيق الله بصيرة ورشداً.

فقال عمرو: يا أيها الرجل، قد حملت نفسك على أمر عظيم وبلغت الغاية في مكروهها وتعرضت لما لا قوام لك به من مخالفة أمير المؤمنين، وادعيت ما لا يثبت لك به حجة على مخالفيك، وليس إلا السيف بعد ظهور الحجة عليك؛ فانظر

OBEIKAN.COM

لنفسك وبادر أمرك قبل أن تقع المناظرة وتظهر عليك الحجة فلا تنفعك الندامة ولا تقبل لك معذرة، ولا تقال لك عثرة، فقد رحمتك وأشفقت عليك مما هو بك نازل، وأنا أستقيل لك أمير المؤمنين وأسأله الصفح عن جرمك وعظيم ما كان منك إن أظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان منك، وآخذ لك الأمان منه ـ أيده الله ـ والجائزة؛ وإن كان بك مظلمة أزلتها عنك، وإن كان لك حاجة قضيتها لك، فإنما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إن أقمت على ما أنت عليه، ورجوت أن يخلصك الله على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك به.

فقلت: ما ندمت ـ أعزك الله ـ على ما كان مني ولا رجعت عنه ولا خرجت من بلدي وغررت بنفسي إلا في طلب هذا اليوم وهذا المجلس رجاء أن يبلغني الله ما أؤمله من إقامة الحق؛ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال عبدالعزيز رحمه الله تعالى: فقام عمرو بن مسعدة على رجليه وقال: قد حرصتُ على خلاصك جهدي وأنت حريص على سفك دمك وقتل نفسك.

فقلت: معونة الله تبارك وتعالى أعظم وألطف من أن ينساني الله أو يكلني إلى نفسي، وعدل أمير المؤمنين أوسع من

OBEIKAN.COM

أن يقصر عني، وإنما أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال عبدالعزيز رحمه الله تعالى: فقام عمرو بن مسعدة فدخل بي فأخرجت إلى الدهليز الأول ومعي جماعة موكلون بي، وكان قد أمر بني هاشم أن يركبوا، ووجه إلى القضاة والفقهاء الموافقين لهم على مذهبهم وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا، والقواد والأولياء، فركب القوم بالسلاح ليرهبوني بذلك ويرهبوا الرعية، وأمر الناس جميعًا أن لا ينصرفوا حتى نفرغ من المجلس.

فلما اجتمع الناس وتتاموا ولم يتخلف منهم أحد ممن يعرفونه بالكلام والجدل أذن لي بالدخول فلم أزل أنتقل من دهليز إلى دهليز حتى صرت إلى الحاجب صاحب الستر الذي على باب الصحن، فلما رآني أمر بي فأدخلت إلى حجرته ودخل معي فقال: إن كنت تحتاج إلى تجديد الوضوء قلت: ما لي إلى ذلك حاجة، قال: اركع ركعتين فركعت أربع ركعات ودعوت الله عز وجل.

ثم قال لي: استخر الله وقم فادخل، وخرج معي إلى باب الصحن، وشال الستر وأخذ الرجال بيدي وعضدي وجعل أقوام أيديهم في ظهري وعلى رقبتي وجعلوا يتعادون بي،

ونظرني المأمون وأنا أسمع صوتًا: خلوا عنه، وكثر الضجيج من الحجاب والقواد بمثل ذلك، فخلوا عني، وقد كاد يتغير عقلي من شدة الجزع وعظيم ما رأيت في الصحن من السلاح وهم ملء الصحن، وكنت قليل المخبرة بدار أمير المؤمنين، ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها.

فلما صرت على باب الإيوان وقفت فسمعت المأمون يقول: ادخلوه، قربوه، فلما دخلت من باب الإيوان وقعت عيني عليه، وقبل ذلك لم أنتبه لما كان على باب الإيوان من الحجاب والقواد فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم قال: ادنُ مني فدنوت منه، ثم جعل يقول: ادنُ مني، فدنوت منه، ثم جعل يقول: ادنُ وأدنو، ويكرر ذلك وأنا أدنو خطوة خطوة حتى صرت إلى الموضع الذي يجلس فيه المتناظرون ويسمع كلامهم والحاجب معي يقدمني، فلما انتهيت إلى الموضع قال لي المأمون: اجلس، فجلست.

قال عبدالعزيز: وسمعت رجلاً من جلسائه يقول وقد دخلت الإيوان: يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، فوالله ما رأيت خلقًا لله أقبح وجهًا منه.

فسمعت قوله هذا وفهمته وما رأيت شخصه على ما كنت فيه من الجزع والرعده.

قال عبدالعزيز: وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع وما قد نزل بي من الخوف، فجعل ينظرني وأنا أرتعد خوفًا وأنتفض، وأحب أن يؤنسني ويسكن روعتي فجعل يكثر كلام جلسائه ويكلم عمرو بن مسعدة ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها، يريد بذلك كله إيناسي وجعل يطيل النظر إلى الإيوان ويدير نظره فيه، فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد انتفخ، فقال: يا عمرو، ما ترى هذا قد انتفخ من هذا النقش في هذا الجص وسيقع فبادر في قلعه وعمله، فقال عمرو: قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا.

قال عبدالعزيز: ثم أقبل عليَّ المأمون: فقال ما الاسم؟

فقلت: عبدالعزيز، قال: ابن من؟ قلت: ابن يحيى بن مسلم، قال ابن من؟ قلت: ابن ميمون الكناني.

قال: أوَ أنت من كنانة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فتركني هنيهة لا يكلمني.

فقال: من أين الرجل؟ قلت: من الحجاز، قال: ومن أي

الحجاز؟ قلت: من مكة، قال: ومن تعرف من أهل مكة؟ قلت: يا أمير المؤمنين قلَّ من بها من أهلها إلا وأنا أعرفه إلا رجل ضوى إليها أو من جاور بها فإني لا أعرفه. قال: تعرف فلانًا وفلانًا حتى عدد جماعة من بني هاشم كلهم أعرفهم حق المعرفة، فجعلت أقول: نعم، وسألني عن أولادهم وأنسابهم فأخبرته من غير حاجة إلى شيء من ذلك ولا تقدم من مسألتي، وإنما يريد إيناسي وبسطي للكلام وتسكين روعتي وجزعي، فذهب عني ما كنت فيه وما لحقني من الجزع، وجاءت المعونة من الله عز وجل قوى بها ظهري، واشتد بها قلبي واجتمع بها فهمي.

قال عبدالعزيز رحمه الله تعالى: فأقبل عليَّ المأمون وقال: يا عبدالعزيز، إنه قد اتصل بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع وقولك: إن القرآن كلام الله... إلخ بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق، وما كان من مسألتك بذلك من الجمع بينك وبين مخالفيك على القول لتناظرهم في حضرتي وفي مجلسي والاستماع منك ومنهم، وقد جمعت المخالفين لك لتناظرهم بين يدي وأكون أنا الحاكم بينكم، فإن تبين الحجة لك عليهم والحق معك اتبعناك، وإن تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبناك، وإن استقلت أقلناك.

OBEIKAN.COM

ثم أقبل المأمون على بشر المريسي وقال: يا بشر قم إلى عبدالعزيز فناظره وأنصفه.

قال: فوثب بشر المريسي من موضعه الذي كان فيه كالأسد يثب إلى فريسته فرحًا، فانحط عليَّ فوضع ركبتيه وفخذه الأيسر على فخذي الأيمن فكاد أن يحطمه وغمز إلي بقوته كلها. فقلت: مهلاً فإن أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي ولا بظلمي وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي.

فصاح به المأمون وقال: تنح عنه، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني.

قال: ثم أقبل عليَّ المأمون وقال: يا عبدالعزيز، ناظره على ما تريد، واحتج عليه ويحتج عليك، وتسأله ويسألك، وتناصفا في كلامكما، وتحفظا ألفاظكما فإني مستمع عليكما فنحفظ ألفاظكما.

فقال عبدالعزيز: فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين، ولكن أريد أن أقول شيئًا فيأذن لي أمير المؤمنين فيه، قال: قل كما تريد.

قلت: يا أمير المؤمنين، أسألك بالله من أجمل من بلغك من البشر وأحسنهم وجهًا من جميع ولد آدم؟

OBEIKAN.COM

قال: يوسف ـ بعد أن أطرق مليًا ـ قلت: صدقت يا أمير المؤمنين، فوالله ما أعطي يوسف على حسن وجهه جرادتين، ولقد سجن وضيق عليه من أجل حسن وجهه ظلمًا بغير حق بعد أن وقف على براءته، وإقرار امرأة العزيز أنها هي راودته عن نفسه فاستعصم، فحبس بعد ذلك كله لحسن وجهه قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] فدل بقوله على أنه حبس بغير ذنب، لكن العلة حسن وجهه؛ وليغيبوه عنها وعن غيرها رجاء تغير حلية وجهه وليذهب بحسنه، فطال في السجن مكثه حتى عبر الرؤيا، ووقف الملك على علمه ومعرفته وحسن عبارته، فاشتاق إليه ورغب في صحبته فقال: ﴿ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ وكان هذا القول من الملك بعد تعبير يوسف الرؤيا، ووقوف الملك على حسن عبارته، وكما أخبر الله عز وجل في كتابه، قبل أن يسمع كلامه.

فلما دخل عليه وسمع كلامه صيره على خزائن الأرض، وفوض إليه الأمور كلها واعتزل منها وصار كأنه من تحت يده، فكان ما بلغه يوسف كله من كلامه وعلمه لا بجماله وحسن وجهه، قال الله عز وجل ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٥]. ولم يقل: إني حسن جميل، فو الله ما أبالي

يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أقبح مما هو معي، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه والعلم بتنزيله.

فقال المأمون: وأي شيء أردت بهذا القول وما الذي دعاك إليه؟ فقلت: إني سمعت بعض مَن ههنا يقول: يا أمير المؤمنين، يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، فأي عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل؟

فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه.

فقلت: يا أمير المؤمنين، قد رأيتك تنظر هذا النقش في الحائط وتنكر انتفاخ الجص، وسمعت عمراً يعيب الصانع ولا يعيب الجص، فقال المأمون: العيب لا على الشيء المصنوع إنما العيب على صانعه، فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين وقلت الحق، فهذا يعيب ربي لِمَ خلقني قبيحًا، فازداد تبسمًا حتى ظهر ذلك، فقال: يا عبدالعزيز، ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة.

قلت: يا أمير المؤمنين، كل متناظرين على غير أصل يكون بينهما يرجعان إليه إذا اختلفا في شيء من الفروع فهما كالسائر على غير طريق، وهو لا يعرف المحجة فيتبعها ولا يعرف الموضع الذي يريد فيقصده، وهو لا يدري من أين جاء فيرجع فيطلب الطريق وهو على ضلال، ولكنا نؤصل بيننا أصلاً فإذا اختلفنا

OBEIKAN.COM

في شيء من الفروع رددناه إلى الأصل، فإن وجدناه فيه وإلا رمينا به ولم نلتفت إليه.

قال المأمون: نِعمَّ ما قلت، فاذكر الأصل الذي تريد أن يكون بينكما.

قلت: يا أمير المؤمنين الأصل بيني وبينه ما أمر الله عز وجل واختاره لنا وعلمناه وأدبنا به في التنازع والاختلاف ولم يكلنا إلى غيره ولا إلى أنفسنا واختيارنا فنعجز.

قال المأمون: وهل ذلك موجود عن الله عز وجل؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فاذكر ذلك، قلت: قال الله عزوجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾** ﴾ [النساء: ٥٩].

فهذا تعليم من الله وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين ما أصله المتنازعون بينهم، وقد تنازعت أنا وبشر يا أمير المؤمنين وبيننا كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ كما أمر الله عز وجل، فإذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه إلى كتاب الله عز وجل، فإن وجدناه فيه وإلا إلى سنة نبيه ﷺ، فإن وجدناه فيها وإلا ضربناه في الحائط ولم نلتفت إليه.

OBEIKAN.COM

قال المأمون: فافعلا وأصِّلا بينكما هذا واتفقا عليه وأنا الشاهد عليكما والحافظ لما يجري بينكما.

قال عبدالعزيز: قلت: يا أمير المؤمنين، إنه مَن ألحد في كتاب الله زائداً أو جاحداً لم ينظر بالتأويل ولا بالتفسير.

قال المأمون: بأي شيء تناظر؟

قلت: بنص القرآن بالتلاوة، قال الله عز وجل لنبيه ﷺ حين ادعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣] وقال عز وجل لنبيه: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] وقال الله عزوجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقال: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢].

فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة ولم يأمره بالتأويل، وإنما يكون التأويل لمن آمن بالتنزيل، فأما من ألحد بالتنزيل فكيف يناظر بالتأويل؟

فقال المأمون: ويخالفك بالتنزيل؟ قلت: نعم ليخالفني أو ليدعن قوله ومذهبه وليوافقني.

قال: فناظره بالتلاوة ونص التنزيل. قلت: نعم.

قال عبدالعزيز: فأقبلت على بشر فقلت: يا بشر، ما حجتك أن القرآن مخلوق؟ وانظر أحدَّ سهمٍ من كنانتك فارمني به ولا تحتج إلى معاودتي لغيره.

قال بشر: تقول يا عبدالعزيز القرآن شيء أم غير شيء؟ فإن قلت: شيء فقد أقررت أنه مخلوق إذا كانت الأشياء كلها مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت: إنه ليس بشيء فقد كفرت؛ لأنك تزعم أن حجة الله على خلقه ليس بشيء.

قال عبدالعزيز: فقلت لبشر: ما رأيت أعجب من هذا تسألني وتجيب عن نفسك، فإن تسألني لأجيبك فاسمع الجواب مني فإني أحسن أن أجيبك وأعبر عن نفسي، وإن ترد أن تخطب وتتكلم لتبهشني [1] حجتي فلن أزداد بتوفيق الله إياي إلا بصيرة وفهمًا، وما أحسبك يا بشر إلا وقد تعلمت شيئًا، أو سمعت هذه المقالة والتي قبلها أو قرأتها في كتاب أنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها.

(١) في نسخة أخرى لتهشني وهو الأنسب وفي القاموس هش الورق خبطه بعصا ليتحات.

OBEIKAN.COM

فأقبل عليه المأمون وقال: صدق عبدالعزيز، اسمع منه جواب ما سألته ثم رد عليه بعد ذلك ما شئت، ثم قال لي: تكلم فأجبه يا عبدالعزيز لما سألك.

فقلت لبشر: سألت عن القرآن هو شيء أم غير شيء، فإن كنت تريد أنه شيء إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم فنعم هو شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وإنه كالأشياء فلا.

فقال بشر: ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه ولابد من جواب يعقل ويفهم، إنه شيء أم غير شيء؟

قال: فقلت: لبشر صدقت؛ لأنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول، ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله عز وجل قومًا في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ قالوا مثل مقالتك وكانوا بمثل ما وصفت به نفسك قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣]. وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الزخرف: ٤٠].

وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٦]. ومثل هذا في القرآن كثير.

ولقد مدح الله قومًا في كتابه بحسن الاستماع وأثنى عليهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]. وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فما اخترت لنفسك ما اختاره الرسول ولا ما اختاره المؤمنون ولا ما اختاره أهل الكتاب.

قال المأمون: دع عنك هذا يا عبدالعزيز وارجع إلى ما كنت فيه، وبين ما قلته واشرحه من ذكر الشيء.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله أجرى كلامه على ما أجراه على نفسه إذا كان كلامه من ذاته ومن صفاته، فلم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء اسمًا من أسمائه، ولكنه دل على نفسه أنه شيء وأنه أكبر الأشياء إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم وتكذيبًا للزنادقة ومن تقدمهم ممن جحد معرفته وأنكر ربوبيته من سائر الأمم فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

فدل على نفسه أنه شيء لا كالأشياء، وأنزل في ذلك خبرًا خاصًا مفردًا لعلمه السابق أن جهمًا وبشرًا ومن قال بقولهما

OBEIKAN.COM

سيلحدون في أسمائه وصفاته ويشبهون على خلقه ويدخلونه وكلامه في الأشياء المخلوقة فقال عزوجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر تكذيبًا لمن ألحد في كتابه وافترى عليه وشبهه بخلقه، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ثم عدد أسماءه في كتابه ولم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء اسمًا من أسمائه، قال النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» ثم عددها فلم نجده جعل الشيء اسمًا، فقلت: كما قال الله، وتأدبت بما أدبني الله متبعًا غير مبتدع.

ثم ذكر جل ذكره كلامه كما ذكر نفسه، ودله عليه مثل ما دل على نفسه ليعلم الخلق أنه من ذاته، وأنه صفة من صفاته فقال عزوجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] فذم الله من نفى أن يكون كلامه الذي أنزله على رسوله شيئًا، وذلك أن رجلاً من المسلمين ناظر رجلاً من اليهود بالمدينة، فجعل المسلم يحتج على اليهودي من التوراة بما علم من صفة النبي ﷺ

وذكر نبوته من التوراة، فضحك اليهودي وباهت، فقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله عز وجل تكذيبه وذم قوله وأعظم فريته حين جحد أن يكون كلام الله شيئًا ليس كالأشياء.

كما دل على نفسه أنه شيء وليس كالأشياء وقال في موضع آخر ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ** ﴾ [**الأنعام**: ٩٣] فدل بهذا الخبر أيضًا على أن الوحي شيء بالمعنى، وذم من جحد أن يكون كلامه شيئًا، فلما أظهر اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في جملة الأشياء، ولكنه أظهره باسم الكتاب والنور والهدى فقال لنبيه ﷺ: ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ** ﴾ [**الأنعام**: ٩١] فأظهره باسم الكتاب والنور والهدى ولم يقل قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى، ويجعل الشيء اسمًا لكلامه، فكانت أسماء ظاهرة يعرف بها، كما سمى نفسه بأسماء ظاهرة يعرف بها، فسمى كلامه نوراً وهدى وشفاء ورحمة وحقًا وقرآنًا وفرقانًا لعلمه السابق في جهم وبشر ومن يقول بقولهما أنهم سيلحدون في كلامه ويدخلونه في الأشياء المخلوقة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، قد أقر عبدالعزيز أن القرآن

شيء وادعى أنه ليس كالأشياء، وقلت أنا: إنه كالأشياء فليأت بنص التنزيل كما أخذ على نفسه أنه ليس كالأشياء وإلا فقد بطل ما ادعاه وصح قولي أنه مخلوق إذ كنا جميعًا قد اجتمعنا على أنه شيء وقال الله عزوجل: ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] بنص التنزيل.

فقال المأمون: هذا يلزمك يا عبدالعزيز لما أخذت على نفسك، وجعل محمد بن الجهم وغيره يضجون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا.

وطمعوا في قتلي، وجثا بشر على ركبتيه وجعل يقول: أقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن وأمسكت، فلم أتكلم حتى قال لي أمير المؤمنين: ما لك لا تتكلم يا عبدالعزيز؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، قد تكلم وطالبني بنص التنزيل على ما قلت وهو المناظر لي، فضجيج هؤلاء إيش هو؟! وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل على بشر كما طالبني! ولست أتكلم وفي المجلس أحد يتكلم غير بشر إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره.

فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره أمسكوا، فأمسكوا وأقبل عليَّ وقال:

OBEIKAN.COM

تكلم يا عبدالعزيز واحتج لنفسك فليس يعارضك غير بشر.

قال: قلت: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨] فدل عز وجل بهذه الأخبار وأشباه لها في القرآن كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه غير الأشياء وأنه خارج عن الأشياء وأنه يكوِّن الأشياء، ثم أنزل الله عز وجل خبرًا مفردًا ذكر فيه خلق الأشياء كلها فلم يدع منها شيئًا إلا ذكره وأدخله في خلقه، وأخرج كلامه وأمره من جملة الخلق وفصله منها ليدل على أن كلامه غير الأشياء المخلوقة وخارج عنها فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فجمع في قوله ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميع ما خلق فلم يدع شيئًا ثم قال: ﴿الأَمْرُ﴾ يعني والأمر الذي كان به الخلق خلقًا، فرقًا بين خلقه وأمره، فجعل الخلق خلقاً والأمر أمرًا، وجعل هذا غير هذا وقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠] وقال: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن

قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] يعني من قبل الخلق، ومن بعد الخلق، ثم جمع الأشياء المخلوقة في آيات كثيرة في كتابه فأخبر عن خلقها وأنه خلقها بقوله وكلامه، وإن كلامه وقوله غيرها وخارج عنها قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ١ - ٣] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ مَا خلقناهما إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ وقال: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الروم: ٨].

فقال المأمون: يجزيك هذا أو بعضه يا عبدالعزيز فاختصر، فقلت: يا أمير المؤمنين قد أخبر الله عن خلق السموات والأرض وما بينهما فلم يدع شيئًا من الخلق إلا ذكره، فأخبر عن خلقه أنه ما خلقه إلا بالحق، وإن الحق قوله وكلامه الذي به خلق الخلق كله، وإنه غير الخلق وإنه خارج عن الخلق، وغير داخل في الخلق، وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة وليس هو كالأشياء وبه تكون الأشياء.

قال بشر: يا أمير المؤمنين، قد ادعى أن الأشياء لا تكون لا بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات وزعم أن الله يخلق بها الأشياء فأكذب نفسه ونقض قوله ورجع عما ادعاه من حيث لا يدري وأمير المؤمنين شاهد عليه وهو الحاكم بيننا.

فأقبل المأمون عليَّ فقال يا عبدالعزيز: قد قال بشر كلامًا قد قلته ويحتاج أن تصحح قولك ولا ينقض بعضه بعضه.

وجعل بشر يصيح لو تركته يتكلم لجاء بألف شيء مما خلق الله به الأشياء.

فقلت: يا أمير المؤمنين، قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه بالضجيج والترويج بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص، ولا خلاص من الله حتى يظهر دينه ويقمع الباطل بالحق فيزهقه.

فصاح المأمون ببشر: أقبل على صاحبك واسمع منه ودع هذا الضجيج.

وكان المأمون قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم، ثم أقبل المأمون وقال: تكلم يا عبدالعزيز.

فقلت: يا بشر، زعمت أني قد جئت بأشياء متباينات متفرقات، وادعيت أن الله خلق بها الأشياء، وما قلت إلا ما

OBEIKAN.COM

قال الله عز وجل، ولا أقول إن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره، وهذه أربعة أشياء، ولا أنه خلقها إلا بكلامه.

قال بشر: يا أمير المؤمنين، قد قال: إن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره، وهذه أربعة أشياء.

قال المأمون: بل قلت هذا يا عبدالعزيز.

فقلت: صدق أمير المؤمنين قد قلت هذا وهذه أربعة أشياء لشيء واحد؛ لأن كلام الله هو قوله، وقول الله هو كلامه، وأمر الله هو كلامه، وكلام الله هو أمره، وكلام الله هو الحق، والحق هو كلام الله، فهذه أسماء لكلام الله وقد قدمت ذكر هذا فقلت: إن الله سمى كلامه نوراً وهدى وشفاء ورحمة وقرآنًا وفرقانًا وبرهانًا وسماه الحق، وهذه أشياء شتى لشيء واحد وهو كلام الله، كما سمى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد صمد فرد، وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة معرفته بلغة العرب.

قال بشر: قد أصل بيني وبينه كتاب الله وزعم أنه لا يقبل إلا بنص التنزيل فأين نص التنزيل؟ إن كلام الله هو قوله وهو أمره وإن كلامه هو الحق؟

فقال المأمون: هذا يلزمك يا عبدالعزيز لما عقدت على نفسك من الشرط.

فـقلت: نعـم يا أمـيـر المؤمنين، وعليٌّ أن آتي بنص التنزيل على ما قلت قال: فهاته.

قلت: قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه في القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وإنما يسـمـعـه من قـارئه، وإنما عنى القـرآن لا خـلاف بين أهل العـلم واللغة في ذلك وقال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ [الفتح: ١٥]. وقال الله عز وجل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] فقد أخبر عن القـرآن أنه الحق وقـال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦] فأخبر عن القرآن أنه الحق وقال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤] فأخبر عن القرآن أنه الحق وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ٣] وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] وقال: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا﴾ [القصص: ٥٣] فأخبر أنه الحق.

فهذه أخبار الله كلها أن القرآن هو الحق، ثم ذكر عز وجل

قوله فسماه الحق فأخبر أن الحق قوله قال: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤] فأخبر أنه الحق وأن الحق قوله وقال: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣] فهذه أخبار الله أنه الحق وأن الحق قوله. ثم ذكر أن كلامه الحق وأن الحق كلامه فقال: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣] وقال: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢] وقال: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]. فهذه أخبار الله أن الحق كلامه. وأخبر أن أمره هو القرآن وهو كلامه فقال: ﴿حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ١ - ٣] يعني القرآن، وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥] يعني القرآن.

فهذه أخبار الله أن القرآن أمره وكلامه، وأن أمره هو القرآن، وهذا تعليم لخلقه وتأديبه لهم، فقلت كما قال الله: إن القرآن كلام الله وإنه أمرٌ من أمر الله وإنه الحق، وإن هذه أسماء لشيء واحد وهو الكلام الذي به خلقت الأشياء، وهو غير الأشياء، وخارج عن الأشياء، وليس هو كالأشياء، فهذا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير.

فقال المأمون: أحسنت يا عبدالعزيز.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، هذا يحب أن يخطب بما لا أسمعه ولا أعقله ولا ألتفت إليه، وما أتى بحجة ولا أقبل من هذا شيئًا.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، من لا يعقل عن الله ما يخاطب به نبيه وما علمه لعباده في كتابه يدعي العلم ويحتج للمقالات والمذاهب ويدعو الناس للبدع والضلال.

قال بشر: أنا وأنت في هذا سواء، تنتزع آيات من آيات القرآن لا تعلم تفسيرها ولا تأويلها، وأنا أرد ذلك وأدفعه حتى تأتي بما أفهمه وأعقله.

قال عبدالعزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، فذاك كلام بشر وتسويته فيما بيني وبينه، ولقد فرق الله فيما بيني وبينه، وأخبر أنا على غير السوى، وأكذبه في دعواه.

فقال المأمون: وأين ذلك من كتاب الله عز وجل؟

قلت: قال الله عزوجل: ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ [**الرعد**: ١٩] فأنا والله يا أمير المؤمنين أعلم أن الذي أنزل عليه هو الحق وأومن به، وبشر قد شهد على نفسه أنه لا يعلمه ولا يفهمه ولا يعقله ولا

OBEIKAN.COM

يقبله، وأنه مما لا يقوم لي به حجة فلم يقل كما قال الله عزوجل، ولا كما قال نبيه ﷺ، ولا كما قال موسى عليه السلام، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب، ولقد أخبر الله عن جهله وأزال عنه المذكرة وأخرجه عن جملة أولي الألباب، لكن أمير المؤمنين لما خصه الله به من الفضل والسؤدد وشرفه به من الحلم والفضل، ورزقه من الفهم والمعرفة قد عقل عن الله قوله، وعرف ما عنى فقبله واستحسنه ممن انتزع به بين يديه.

فقال بشر: قد أقر بين يديك أن القرآن شيء فليكن عنده كيف شاء، فقد اتفقنا جميعًا أنه شيء وقد قال الله تعالى ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ [**الرعد**: ١٦].

فهذه لفظة لم تدع شيئًا إلا أدخلته في الخلق ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء، لأنها لفظة قد استوعبت الأشياء كلها وأتت عليها مما ذكرها الله عز وجل ومما لم يذكرها، فصار القرآن مخلوقًا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير.

قال عبدالعزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، عليَّ أن أكسر قوله وأكذبه فيما قال بنص التنزيل حتى يرجع عن قوله أو يقف أمير المؤمنين على كسر قوله وبطلان دعواه.

OBEIKAN.COM

فقال المأمون: قل ما عندك.

قلت: قال الله في قصة عاد ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] فهل أبقت الريح يا بشر شيئاً لم تدمره؟

قال: لا قد دمرت كل شيء كما أخبر الله عنها فلم يبق شيء إلا وقد دخل تحت هذه اللفظة.

فقلت: قد أكذب الله عز وجل من قال هذا بقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فأخبر أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة، وقد قال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢].

قال: أنا أقول أن هذه اللفظة تجمع الأشياء كلها.

فقلت: قد أكذب الله عز وجل من قال هذا؛ لأن ملك سليمان كمثل ملك بلقيس مائة ألف مرة ولم تؤته.

وهذا كله مما يكسر قولك، ويبطل مذهبك، ويدحض حجتك، ومثل هذا في القرآن كثير، ولكن أبدأ بما هو أشنع وأظهر فضيحة مذهبك وأدمغ لبدعتك. قال الله عزوجل: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] وقال ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤]

OBEIKAN.COM

وقال ﴿ وَمَا تحْمِلُ مِنْ أُنثىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِه ﴾ [فاطر : ١١] أتقر يا بشر لله علمًا كما أخبر ، أو تخالف التنزيل .

قال : فحاد بشر عن جوابي وأبى أن يصرِّح بالكفر فيقول ليس لله علم فيكون قد رد نص التنزيل فتبين ضلالته وكفره ، وأبى أن يقرَّ أن لله علمًا فأسأله عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة أم لا ، وعلم ما أريد وألزمه في ذلك من كسر قوله وإبطال مذهبه ودحض حجته ، فاجتلب كلامًا لم أسأله عنه وقال : الله لا يجهل . وهذا معنى العلم .

قال : فأقبلت على المأمون ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا يكون الخبر عن المعنى فليقر بشر أن لله علمًا كما أخبرنا به في كتابه ، فإني سائله ما معنى العلم؟ وهذا مما لا أسأله عنه إذ قال إن الله لا يجهل .

وقد حاد بشر يا أمير المؤمنين عن جوابي .

فقال بشر : وهل تعرف الحيدة ؟

قلت : نعم إني لأعرف الحيدة في كتاب الله ، وهي سبيل الكفار التي اتبعتها .

فقال لي المأمون : يا عبد العزيز أتعرف الحيدة فى كتاب الله ؟

OBEIKAN.COM

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، وفي سنة المسلمين وفي لغة العرب.

قال المأمون: اذكر ذلك.

قلت: قال الله تعالى في قصة إبراهيم حين قال لقومه ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾[الشعراء: ٧٢، ٧٣] وإنما قال لهم إبراهيم هذا ليذمهم ويعيب آلهتهم، ويسفه أحلامهم، فعرفوا ما أراد بهم، فصاروا بين أمرين: أن يقولوا: نعم يسمعونا حين ندعو، أو ينفعونا أو يضرونا، فيشهد عليهم بلغة قومهم أنهم كذبوا؛ أو يقولوا: لا يسمعونا حين ندعو، ولا ينفعونا، ولا يضرونا، فينفوا عن آلهتهم القدرة، وعلموا أن الحجة عليهم لإبراهيم؛ لأنهم في أي القولين أجابوه فهو عليهم، فحادوا عن جوابه، واجتلبوا كلامًا من غير ما سألهم عنه فقالوا: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤] فلم يكن هذا جواب مسألته.

وأما الحيدة في سنة المسلمين فإنه يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لمعاوية وقد قدم عليه فرآه يكاد ينفقأ شحمًا فقال: يا معاوية، ما هذه؟ لعلها من نومة الضحى ورد الخصوم.

قال معاوية : يا أمير المؤمنين علمني وفهمني . ولم يكن هذا جوابًا لقول عمر رضي الله عنه ، ولكنه حاد عن جوابه لعلمه بما عليه من رد الجواب ، واجتلب كلامًا من غير مسألة عنه فأجابه به .

وأما الحيدة في كلام العرب فقول امرئ القيس في المعنى :

تقول وقد مال الغبيط بنا معـــاً عقرت بعيري يا أمرأ القيس فانزل

فقلت لها سيري وأرخي زمامــه ولا تبعـديني عن خـــباك المحـــلل

ولم يكن هذا جوابًا لقولها وإنما حاد عن جوابها فاجتلب كلامًا غيره فأجاب به .

فأقبل المأمون على بشر فقال : يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تقر أن لله علمًا فأجبه ولا تحد عن جوابه .

فقال بشر : قد أجبته عن معنى العلم أنه لا يجهل وهذا هو جوابه ولكنه يتعنت .

قال : فقلت : صدق يا أمير المؤمنين بشر أن الله لا يجهل ، ولم تكن مسألتي له عن الجهل ، إنما سألته عن العلم ، فليقر أن لله علمًا كما أخبرنا في كتابه وأثبته لنفسه ، وليقل أن الله لا يجهل بعد إقراره بالعلم .

ثم التفتُ إلى بشر فقلت : لابد أن تقر أن لله علمًا كما

OBEIKAN.COM

أخبرنا في كتابه أو ترد أخبار الله بنص التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على حيدتك عن جوابي.

فجعل يقول إن نفي الجهل عنه هو إثبات العلم له وإن كان اللفظان مختلفين.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن نفي السوء لا يثبت به المدحة، وإن إثبات المدحة ينفي السوء، وكذلك نفي الجهل لا يثبت العلم وإثبات العلم ينفي الجهل.

قال بشر: وكيف ذاك؟

فقلت: إن قولك هذا الاضطراري أنه لا يجهل ليس هو مدحة له ولا إثبات للعلم.

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل لم يمدح في كتابه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، ولا مؤمنًا تقيًا بنفي الجهل عنه ليدل على إثبات العلم له، وإنما مدحهم بإثبات العلم لهم فنفى بذلك الجهل عنهم، فقال وقد مدح الملائكة: ﴿ **كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [**الانفطار**: ١١، ١٢] ولم يقل لا يجهلون، وقال لنبيه ﷺ: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [**التوبة**: ٤٣] وقال في مدحه المؤمنين: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ**

﴿الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] لم يقل الذين لا يجهلون، وهذا قول الله ومدحه لملائكته ولنبيه ﷺ وللمؤمنين، فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، فما اختار بشر ما اختاره الله لملائكته ولا لنبيه ولا من حيث اختار لعباده المؤمنين.

فأقبل عليَّ المأمون وقال لي: يا عبد العزيز، قد حاد بشر عن جوابك، وقد أبى أن يقر أن لله علمًا، ماذا تتكلم أنت عنه في الإقرار بذلك؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، إذا أقر أن لله علمًا سألته عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة حين احتج بقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] وزعم أنه لم يبق شيء إلا وقد أتى عليه هذا الخبر، فإن قال علم الله داخل في الأشياء المخلوقة فقد شبه الله بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، وكل من تقدم قبل علمه فقد دخل عليه الجهل فيما بين وجوده إلى حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين، والله أعظم وأجل أن يوصف بذلك أن ينسب إليه، ومن قال ذلك فقد كفر وحلَّ دمه، ووجب على المؤمنين قتله، وإن قال إن علم الله خارج عن جملة الأشياء المخلوقة، وغير ذلك داخل فيها، فقد رجع عن قوله، وأكذب نفسه.

وقلت أنا: وكذلك كلامه خارج عن جملة الأشياء المخلوقة غير داخل فيها.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، وإنما فر بشر أن يجيبك في هذه المسألة لهذا.

ثم أقبل عليَّ المأمون وقال: يا عبد العزيز، إن الله عالم؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فتقول: إن لله علمًا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فتقول: إن الله سميع بصير؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فتقول: إن لله سمعًا وبصرًا؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: فافرق بين ذلك.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، وقد قدمت إليك فيما احججت به أن على الناس جميعًا أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله عنه، فأخبرنا الله عز وجل أن له علمًا فقلت: إن له علمًا كما أخبر، وأخبرنا أنه عالم بقوله: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾ [**الرعد**: ٩] فقلت: إنه عالم كما أخبر، وأخبرنا أنه سميع بصير، فقلت: إنه سميع بصير كما أخبر في كتابه، ولم يخبر أن له سمعًا ولا بصرًا فأمسكت عنه إمساكه ولم أقل: إن له سمعًا وبصرًا.

فقال المأمون لبشر وأجابه: ما هو بمشبه فلا تكذبوا عليه.

OBEIKAN.COM

فقال بشر: قد زعمت يا عبد العزيز، أن لله علمًا فأي شيء هو علم الله وما معنى علم الله؟

فقلت له: هذا مما تفرد الله بعلمه ومعرفته فلم يخبر به ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، بل احتجبه عن الخلق جميعهم، فلم يعلمه أحد قبلي ولن يعلمه أحده بعدي؛ لأن علمه أكثر وأعظم من أن يعلمه أحد من خلقه. ألم تسمع إلى قوله عزوجل: ﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ** ﴾ [**البقرة**: ٢٥٥] وقال: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ [**الجن**: ٢٦، ٢٧] وقال: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ [**الأنعام**: ٥٩]، وقال: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾** ﴾ [**لقمان**: ٢٧].

أتدري يا بشر ما معنى هذا؟ وأي شيء مما نحن فيه؟

فقال المأمون: قل أنت يا عبد العزيز ما عنى بهذا وفهِّم بشرًا واشرحه.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، يعني بقوله هذا: ولو أن ما في الأرض من جميع الشجر والخشب والقصب أقلام يكتب بها، والبحر مداد يمده من بعده سبعة أبحر، والخلائق كلهم يكتبون

بهذه الأقلام من هذا البحر ما نفدت كلمات الله. فمن يبلغ عقله وفهمه وفكره كنه عظمة الله وسعة علمه ؟ وقال: ﴿ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩] فمن يحد هذا أو يصفه أويدعي علمه ؟ وقد عجزت الملائكة المقربون عن علم ذلك، واعترفوا بالعجز عنه فقالوا: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢] وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وسئل النبي عن علم الساعة فقال: « علمها عند ربي في خمس لا يعلمها إلا هو ، وتلا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: ٣٤]. فأخبر النبي ﷺ أن هذه الخمس مما تفرد الله بعلمها فلا يعلمها إلا هو. فإذا كان النبي ﷺ لا يعلم من علم الله إلا ما علَّمه، فكيف يجوز لأحد من أمته أن يتكلف علمًا أو يدعي معرفة ؟

قال بشر : دع عنك هذا الخطاب لابد من جواب أي شيء هو علم الله بنص التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على أنك قد حدت عن الجواب فأكون أنا وأنت في الحيدة سواء.

قال عبد العزيز : فقلت له : إنك لتأمرني بما نهاني الله عنه،

وحرَّم عليَّ القول به، وتأمرني بما أمرني به الشيطان، ولست أعصي ربي وأرتكب نهيه، وأطيع الشيطان وأتبع أمره وأمرك إن كنتما قد أمرتماني بخلاف ما أمرني به ربي بل نهاني.

فاشتد تبسم أمير المؤمنين المأمون من قولي ثم قال:

يا عبدالعزيز، أمرك بشر بما نهاك الله عنه وحرَّم عليك القول به، وأمرك به الشيطان؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: وأين ذلك من كتاب الله عز وجل أو من سنة نبيه عليه السلام؟

قلت: بل من كتاب الله بنص التنزيل. قال: فهاته.

قلت: قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] وأمرهم الشيطان بضد ذلك فقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٨، ١٦٩] فأخبر الله عز وجل أن الشيطان يأمر

OBEIKAN.COM

الناس بأن يقولوا على الله ما لا يعلمون. فنهاهم عن اتباعه وقبول قوله.

فهذا تحريم الله ونهيه لنا يا أمير المؤمنين أن نقول عليه ما لا نعلم، وهذا أمر الشيطان لنا أن نقول على الله ما لا نعلم، وقد اتبع بشر يا أمير المؤمنين سبيل الشيطان التي نهاه الله عن اتباعها ووافقه على قوله، وأمرني بمثل ما أمرني به الشيطان أن أقول على الله ما لا أعلم.

فكشر تبسم المأمون حتى غطى بيده على فيه وأطرق ينكت في الأرض بيده على السرير.

فقال بشر: أخبرني يا عبدالعزيز لو ورد عليك اثنان وقد تنازعا في علم الله، فقال أحدهما: حلفت بالطلاق أن علم الله هو الله، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أن علم الله غير الله، فقالا لك افتنا في أيماننا وأجبنا عن مسألتنا، ما كان جوابك لهما؟

فقلت: الإمساك عنهما وتركهما وجهلهما وصرفهما بغير جواب.

فقال بشر: يلزمك إذا كنت تدعي العلم ويجب عليك إجابتهما في مسألتهما وإخراجهما من أيمانهما وإلا فأنت وهما في الجهل سواء.

OBEIKAN.COM

قال عبد العزيز : فقلت لبشر : يجب عليَّ أن أجيب كل من سألني عن مسألة لا أجد لها في كتاب الله ولا في سنة رسوله ذكراً ؟ نعم فقد جهل السائل وحمق الخلاف عليها .

فقال بشر : يجب عليك ويلزمك أن تجيبه عن مسألته وتخرجه عن يمينه إذا كان لابد لمسألته من جواب .

فقلت له : هذا تقوله من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ أومن قول أحد من أهل العلم ؟

فقال : هذا قول الخلق جميعاً بلا خلاف فيه عندهم .

قال عبد العزيز : فقلت : هذا قول أهل الجهل ، كل العلماء يخالفونك في هذا وينكرونه . ثم أقبلت على المأمون فقلت : قد سمعت ما قال بشر ، إنه يجب عليَّ جواب كل من سألني عن مسألة لا أجد لها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ مخرجاً وفتياه وإخراجه من يمينه ؟

قال المأمون : قد حفظت قوله .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو ورد عليَّ ثلاثة نفر فتنازعوا في الكوكب الذي أخبر الله أن إبراهيم رآه بقوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ** ﴾ [**الأنعام** : ٧٦] فقال أحدهم : حلفت بالطلاق إنه المشتري ، وقال

الآخـر: حلفت بالطلاق إنه الزهرة، وقـال الآخـر: حلفت بالطلاق إنه المريخ، فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا في أيماننا، أكان عليَّ أن أجيبهم في مسألتهم وأفتيهم في أيمانهم، وذلك لم يخبرنا الله ولا رسوله به؟

فقال المأمون: وما ذاك بواجب ولا لك بلازم.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، فلو ورد عليَّ ثلاثة نفر قد تنازعوا في الأقلام التي أخبر الله عنها بقوله: ﴿ **إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ** ﴾ [**آل عمران**: ٤٤] فقال أحدهم: حلفت بالطلاق إنها من نحاس، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إنها فضة، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إن الأقلام خشب، فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا في أيماننا وذلك مما لم يخبر الله به ولا رسوله، ولا يوجد علمه في كتاب ولا في سنة، أكان عليَّ يا أمير المؤمنين أن أجيبهم عن مسألتهم، وأفتيهم في أيمانهم؟

فقال المأمون: لا، ما ذاك بواجب عليك ولا يلزمك.

قلت: فلو ورد عليَّ ثلاثة نفر قد تنازعوا في المؤذن الذي أخبر الله عنه في كتابه بقوله: ﴿ **فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [**الأعراف**: ٤٤] فقال أحدهم: حلفت بالطلاق إن المؤذن من الإنس، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إن المؤذن من الجن، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إن المؤذن من الملائكة،

OBEIKAN.COM

فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا في أيماننا، أكان عليَّ إجابتهم وذلك مما لم يخبر الله عزوجل، ولا رسول الله ﷺ، ولا يوجد علمه في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ؟

قال المأمون: ما ذاك عليك بواجب، ولا لك بلازم.

فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين، لا يجوز لي ولا لغيري إجابتهم عن مسألتهم، ولا قبول قولهم في أيمانهم، إلا أن يكون عز وجل قد أخبر به في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، وإذا لم يجز هذا في خلق الله فكيف يجوز الجواب على علم الله عز وجل، وهو مما لم يوجد في كتاب الله ولا في سنة نبيه محمد ﷺ، وقد أكذب الله بشراً على لسان أمير المؤمنين فيما ادعاه من وجوب الجواب في فتوى من جعل في مسألة وحمق في يمينه.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز.

فقال بشر: واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين، سألني عبدالعزيز أن أقرَّ أن لله علمًا فلم أجبه، وسألت عما هو علم الله فلم يجبني، فقد استوينا في الحيدة، ونخرج من هذه المسألة إلى غيرها، وندعها من غير حجة تثبت لأحدنا على الآخر.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين إن بشراً قد أفحم وانقطع عن الجواب، ودحضت حجته وبانت فضيحته، وبقي بلا

حجة يقيمها لمذهبه الذي هو عليه ، ويدعو إليه، فلجأ أن يسألني مسألة محال يحج بها مني ليقول سألني عبد العزيز عن مسألة فلم أجبه، وسألته عن مسألة فلم يجبني فيها، وقد قال ذلك الساعة. وأنا وبشر يا أمير المؤمنين على غير السواء في مسألتنا، لأني سألته عما أخبرنا الله في كتابه في مواضع كثيرة وشهد به على نفسه وشهدت له به الملائكة بقوله: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]. فأخبرنا بعلمه وشهد به لنفسه وشهد له به ملائكته، وتعبد الله نبيه وسائر الخلق بالإقرار به والإيمان به بقوله ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥] وبشر يا أمير المؤمنين يأبى أن يؤمن بذلك أو يقر به أو يصدق. وسألني بشر عن مسألة ستر الله علمها عن ملائكته وأنبيائه وعن رسله وأهل ولايته جميعًا، وعني وعن بشر وعن سائر الخلق ممن مضى في سائر الدهر، ومَن هو آت إلى يوم القيامة، فلم يعلمه أحد قبلنا ولم يعلمه أحد بعدنا، فلم يكن لي أن أجيبه عن مسألته، وإنما يدخل النقص عليَّ يا أمير المؤمنين لو كان بشر علم ما سألني عنه أو غيره من العلماء وكنت أنا لا أعلم، فأما إذا اجتمعنا جميعًا أنا وبشر وسائر الخلق في جهل فليس الضرر بداخل عليَّ دونه، وهذه مسألة لا يحل لأحد أن يسأل عنها ، ولا يحل لأحد أن يجيب عنها؛ لأن الله عز وجل حرَّم ذلك وحظره ونهى عنه.

فقال المأمون: أنتما في مسألتكما على غير السواء، وقد صح قولك في هذه المسألة وبان ووضح يا عبد العزيز، وظهر حجتك على بشر فيها.

قال عبد العزيز: ورأيت بشرًا قد حاد وانقطع، وصح ما في يدي واستبان الحق ووضح لأمير المؤمنين ولسائر مَن بحضرته وشهد لي أمير المؤمنين بذلك، فقلت: يا أمير المؤمنين، لست أدع بشرًا حتى أكسر قوله، وأدحض حجته من كل جهة، وأرجع إلى أول المسألة وأدع ذكر العلم وأحتج بما يبطل دعواه، ويفضح مذهبه.

فقال المأمون: قد أصبت يا عبدالعزيز بتركك الكلام فيما قطع المجلس من غير أن يرجع إليك عن مسألتك جواب، وقد وقفنا من قولك وشرحك على ما يلزم بشرًا في هذه المسألة ولو أجابك عن مسألتك فاخرج عنها إلى غيرها كما قلت، واحتج على بشر بغيرها.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، أيجب على من كال بمكيال أن يوفي؟ فقال ذلك: يلزمه.

فقلت: يا بشر، تزعم أن قول الله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦] لا يخرج عنها شيء؛ لأن تلك كلمة تجمع الأشياء كلها فلا تدع شيئًا يخرج عنها وكل ذاك داخل فيها؟

قال بشر: نعم هكذا قلت، هكذا أقول، ولست أرجع عن قولي لكثرة خطبك وهذايانك.

فقلت: يا أمير المؤمنين، شاهد عليه بهذا؟

قال المأمون: أنا شاهد عليه بهذا، فتكلم بما تريد.

فقلت: يا بشر، قال الله عزوجل: ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾ [طه: ٤١] وقال: ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال: ﴿ **كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ [الأنعام: ١٢] وقال ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾ [المائدة: ١١٦] فقد أخبرنا الله عز وجل في مواضع كثيرة من كتابه أن له نفسًا فتقر يا بشر أن لله نفسًا كما أخبرنا عنها؟ قال: نعم. فقلت: يا أمير المؤمنين اشهد عليه أنه أقر أن لله نفسًا. قال: نعم قد سمعت قوله وشهدت عليه، فقلت قال الله: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [الأنبياء: ٣٥] فتقول يا بشر أن نفس الله عز وجل داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت؟

فصاح بأعلى صوته ـ وكان جهوري الصوت: معاذ الله معاذ الله.

قال عبد العزيز: فرفعت صوتي إذًا وقلت: معاذ الله أن

OBEIKAN.COM

يكون كلام الله داخلاً في الأشياء المخلوقة كما أن نفسه ليست بداخلة في الأشياء الميتة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، قد سألني فليسمع كلامي وليدع الضجيج والصياح.

قلت له: تكلم بما شئت.

فقال بشر: وإن كانت نفس الله غير الله أو هو هو فليست بداخلة في هذه النفوس. فقلت له: كم ألقي إليك أني أقول بالخبر وأمسك عن علم ما ستر عني، وإنما قلت إن لله نفسًا كما أخبر في كتابه، وأقررت بذلك عندي فليكن عندك على أي معنى شئت، وقل: إنها داخلة في هذه النفوس أم لا، ودع عنك كلام الخطرات والوسواس.

فقال: أنت رجل متعنت وليس عندي جواب غير هذا.

فقال عبد لعزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد كسرت قوله في هذه المسألة بالقول الأول، والقول الثاني في باب العلم، وكسرت قوله بغضبه، ودحضت حجته بمذهبه، وبطل ما كان يدعو إليه من بدعته، وبان لأمير المؤمنين قبح مذهبه وفحش قوله.

فأقبل عليَّ المأمون وقال: يا عبد العزيز، قد وضحت حجتك، وبان قولك، وانكسر قول بشر في هذه المسألة،

OBEIKAN.COM

ونحتاج أن تشرح لنا هذه الأخبار في القرآن ومعانيها وما أراد الله عزوجل.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل شرَّف العرب وكرمهم وأنزل القرآن بلسانهم فقال الله عزوجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] فخص الله عز وجل العرب بفهمه ومعرفته وفضلهم على غيرهم بعلم أخباره، ومعاني ألفاظه، وخصوصه وعمومه، ومحكمه ومبهمه، وخاطبهم بما عقلوه وعلموه ولم يجعلوه إذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثل ذلك في خطابهم فأنزل الله عز وجل القرآن على أربعة أخبار خاصة وعامة:

ـ (فمنها) خبر مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى الخصوص، وهو قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١] وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] والناس اسم يجمع آدم وعيسى وما بينهما، وما بعدهما، فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن آدم وعيسى، لأنه قدم خبر خلقهما.

ـ (ومنها) خبر مخرجه مخرج العموم، ومعناه معنى

OBEIKAN.COM

الخصوص وهو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فعقل عن الله أنه لم يعن إبليس فيمن تسعه الرحمة لما تقدم فيه من الخبر الخاص قبل ذلك وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] فصار مني ذلك الخبر العام خاصًا لخروج إبليس ومن تبعه من سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء.

ـ (ومنها) خبر مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى العموم وهو قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩] فكان مخرجه خاصًا ومعناه عامًا.

ـ (ومنها) خبر مخرجه مخرج العموم ومعناه العموم.

فهذه الأربعة الأخبار خص الله العرب بفهمها، ومعرفة معانيها وألفاظها وخصوصها وعمومها والخطاب بها، ثم لم يدعها اشتباهًا على خلقه، وفيها بيان ظاهر لا يخفى على مَن تدبره من غير العرب ممن يعرف الخاص والعام.

فلما قدَّم إلينا عز وجل في نفسه خبرًا خاصًا أنه حي لا يموت بقوله عزوجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ثم أنزل خبرًا مخرجه مخرج العموم ومعناه الخصوص فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] فعقل

المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن نفسه مع هذه النفوس لما قدم إليهم من الخبر الخاص.

وكذلك قدم إلينا في كتابه خبراً خاصًا: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فدل على قوله باسم مفرد فقال: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ ولم يقل: إذا أردناهما، ففرق بين القول والشيء المخلوق الذي يكون بالقول مخلوقًا. ثم قال عز وجل: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن كلامه وقوله في الأشياء المخلوقة لما قدم من الخبر الخاص.

فقال المأمون: أحسنت فاخرجوا منها إلى غيرها.

فقال بشر: قد خطبت وتكلمت وهذيت، وتركتك تفرح بما ادعيت عليّ من إبطال خلق القرآن بنص التنزيل، وههنا آية من كتاب الله لا يتهيأ لك معارضتها ودفعها، ولا التشبيه فيها، كما فعلت في غيرها بنص خلق القرآن، وإنما أخرتها ليكون انقضاء المجلس بها، وفيها سفك دمك.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: هاتها وأنا أشهد أمير المؤمنين على نفسي أني أول من يتبعك عليها، ويقول بها، ويرجع عن قوله، ويكذب نفسه ويتوب إلى الله عز وجل إن كان معك بنص

التنزيل، ومن خالفك فهو كافر. والله لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل ما قلت لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

قال بشر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف:٣].

فقلت: لا أعلم أحداً من المؤمنين إلا وهو مؤمن بهذا ويقرُّ به ويقول: إن الله جعله عربيًا، فأي شيء في هذا من الحجة والدليل على خلقه؟

فقال بشر: هل في الخلق أحد يشك في هذا أو يخالف عليه، إن معنى (جعلناه) خلقناه.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، ذهب نص التنزيل الذي ادعاه أنه يأتي به، ورجعنا إلى معناه وتأويله.

قال بشر: ما هذا إلا نص التنزيل، وما هذا بتأويل ولا بتفسير.

قال: فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين، إن القرآن نزل بلسانك ولسان قومك، وأنت أعلم أهل الأرض بلغة قومك ولغة العرب كلها، ومعاني كلامها؛ وبشر رجل من أبناء العجم يتأول كتاب الله تعالى على غير ما أنزل وغير ما عناه الله عز وجل ويحرفه عن مواضعه، ويبدل معانيه، ويقول ما تنكره

OBEIKAN.COM

العرب وكلامها ولغاتها، وأنت أعلم خلق الله بذلك، وإنما يُكَفِّر بشر الناس، ويستبيح دماءهم بتأويل لا بتنزيل.

فجعل بشر يقول: ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [**الإسراء**: ٨١] يروغ عبد العزيز إلى الكلام والخطب والاستعانة بأمير المؤمنين لينقطع المجلس، قال الله عز وجل ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [**البقرة**: ٨٩] ثم ضرب بشر يده على فخذه وغمز وقال: قد أتيتك بما لا تقدر على رده، ولا التشبيه فيه لينقطع المجلس بثبات الحجة عليك، وإيجاب العقوبة لك، فإن كان عندك شيء فتكلم به وإلا فقد قطع الله مقالتك، وأدحض حجتك ـ وجعل يصيح ويقول: فرحناك أول المجلس وأطمعناك حتى استطعت في الكلام وتفرغت وتوهمت أنك قد قدرت على ما أردت، فأين كلامك؟ وأين احتجاجك؟ حصل ما أخرسك وذهب بعقلك، وأباح دمك، قال الله عز وجل ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً** ﴾ [**الأنعام**: ٤٤] قال: اشتغل قلبي بقلبك والفكر في ذُلّك.

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمون فقال: يا عبد العزيز، ما لك قد أمسكت فلا تتكلم؟ أجبه إن كان عندك جواب لمسألته.

قلت: ليس يدعني أجيبه ولا أكلمه من ضجيجه وجلبته كأنه قد جاء بحجة، فإن سكت تكلمت وأجبته، وكسرت قوله،

OBEIKAN.COM

وأدحضت حجته بإذن الله، وإن كان غايته أن يهذي ويصيح ويروح الكلام تركته، وأمير المؤمنين أعلى عينًا بما يراه.

فصاح به المأمون: أمسك واسمع من الرجل جواب ما سألته عنه، ودع عنك الهذيان، وأقبل عليَّ المأمون فقال: تكلم يا عبد العزيز بما تريد.

فقلت يا أمير المؤمنين: ما خفي عليك ما جرى اليوم في مجلسك ولنعم الحاكم أنت، جزاك الله عني وعن رعيتك خيرًا، وبشر يؤوِّل الشيء على ما يخطر بباله بغير علم ولا حقيقة لقوله، فإن رأى أمير المؤمنين أن يتحفظ علينا ألفاظنا، وما يجري بيننا في هذه المسألة ويشهد علينا بما نقول من الكتاب أو السنة فعل.

فقال أمير المؤمنين: أنا أفعل ذلك منذ اليوم حتى لو احتيج إلى إعادة ما مضى لأعدته عليكما.

فأقبلت على بشر فقلت: يا بشر، أخبرني عن «جعل» هذا الحرف لحكم لا يحتمل غير الخلق؟

قال: لا، وما بين جعل وخلق عندي فرق، ولا عند أحد غيري من سائر الناس من العرب ولا من العجم، ولا يتعارف الناس إلا هذا.

قلت لبشر: أخبرني عن نفسك، ودع ذكر العرب وسائر الناس، فأنا من الناس ومن الخلق ومن العرب، وأنا أخالفك على هذا، وكذلك سائر العرب يخالفونك.

قال بشر: هذه دعوى منك على العرب، وكل العرب والعجم يقولون ما قلت أنا، وما يخالف في هذا غيرك.

فقلت: أخبرني يا بشر إجماع العرب والعجم بزعمك أن «جعل وخلق» واحد لا فرق بينهما في هذا الحرف وحده، أو في سائر ما في القرآن من «جعل».

قال بشر: بل ما في سائر القرآن من جعل، وسائر ما في الكلام والأخبار والأشعار.

فقلت: قد حفظ عليك أمير المؤمنين ما قلت، وشهد به عليك. قال بشر: أنا أعيد عليك هذا القول متى شئت ولا أرجع عنه ولا أخالفه.

فقلت لبشر: زعمت أن معنى جعلناه، خلقناه قرآنا عربيًا؟ قال: نعم هكذا قلت وهكذا أقول أبدًا.

فقلت له أخبرني: تفرد الله بخلق القرآن أو شاركه في خلقه أحد غيره؟

OBEIKAN.COM

فقال: بل الله تفرد في خلقه ولم يشركه في خلقه أحد غيره.

فقلت له: أخبرني عمن قال بعض ولد آدم: خلق القرآن من دون الله، أمؤمن هو أم كافر؟ قال بشر: كافر حلال الدم، فقلت: صدقت إنه كافر حلال الدم.

قلت: فأخبرني عمن قال: التوراة خلقتها اليهود من دون الله عز وجل، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: صدقت إنه كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

فقلت: فأخبرني عمن قال: إن بني آدم خلقوا الله، وأن الله تعالى أخبر بذلك في كتابه، أمؤمن هو أم كافر؟ قال بشر: كافر حلال الدم.

فقلت: يا بشر، الله خلق الخلق كلهم؟ قال: بلى. قلت: فهل شاركه في خلقهم أحد من خلقه؟ قال: لا، قلت: صدقت، فأخبرني عمن قال: إن بني آدم شاركوه في خلقه، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. فقلت: صدقت وهكذا أقول أنا أيضًا.

قال بشر: فقد قعدت لتجيبني إيش هذا مما نحن فيه، إنما تريد أن تشغلني حتى يؤذن الظهر وينقطع المجلس رجاء أن

OBEIKAN.COM

تنصرف منه سالمًا، وهذا مما لا يكون، فإن كان عندك جواب فقد انقطع الكلام وإيش هذه الخرافات والمحنة الباردة؟ هات ما عندك.

فقلت: قال الله عزوجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ [جَعَلْتُمُ اللَّهَ] عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١] خلقتم الله عليكم كفيلاً، لا معنى له عند بشر غير ذلك، ثم قال: مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم. فلم يرضَ بشر أن يقول بنو آدم خلقوا حتى زعم أن الله قال ذلك، وشهد لهم في كتابه، ومَن قال هذا فقد أعظم الفرية على الله عز وجل وكفر به، وحل دمه بإجماع الأمة.

وقال الله عزوجل: ﴿[وَلَا تَجْعَلُوا] اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] فزعم بشر أن معنى (لا تجعلوا) ولا تخلقوا الله. لا معنى له عنده غير ذاك، ثم قال: مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة؛ لأنه حكى أن الله أخبر بمثل هذا.

وقال الله عزوجل: ﴿[وَيَجْعَلُونَ] لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ [النحل: ٥٧] فزعم بشر أن معنى (ويجعلون لله البنات) يخلقون لله البنات، لا معنى لذلك غير هذا، ثم قال: مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم.

فقال المأمون: ما أقبح هذه المقالة وأعظمها وأشنعها، فحسبك يا عبد العزيز فقد صح قولك، وأقر بشر بما حكيت عنه، وكفَّر نفسه من حيث لم يدر.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تأذن لي أن أنتزع بآيات بقيت وأختصر؟ قال المأمون: قل ما شئت.

(قلت): قال الله عزوجل: ﴿**[وَجَعَلُوا لِلَّهِ] أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ**﴾ [**إبراهيم**: ٣٠] فزعم بشر أن معنى (جعلوا لله) خلقوا لله أندادًا ثم قال: مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد صدق أنه مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم، إذ كان قد أخبر بمثل هذا عن الله عز وجل وقال: ﴿**[وَجَعَلُوا لِلَّهِ] شُرَكَاءَ الْجِنَّ**﴾ [**الأنعام**: ١٠٠] فزعم بشر أن معنى جعلوا خلقوا لله، لا معنى لذلك غير هذا. ثم قال: مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة إذا حكى الله عز وجل مثل هذا.

وقال الله تعالى: ﴿**[وَجَعَلُوا لِلَّهِ] شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ**﴾ [**الرعد**: ٣٣] فزعم بشر أن معنى جعلوا خلقوا، لا معنى لذلك غيره. وقد كذب تعالى بشراً في قوله هذا ونزل الرد بقوله فأخبر عن كفره: ﴿**أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ**﴾ [**الرعد**: ٣٣] الآية، فأخبر تعالى عن كفر بشر وكذب قوله، ونفاه عن نفسه.

وقال الله عزوجل: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا [جَعَلَا] لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[الأعراف:١٩٠] الآية فزعم بشر أن معنى جعلا له خلقا له شركاء، لا معنى له غير ذلك عنده، ثم قال: مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد صدق مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

ومثله: ﴿[وَجَعَلُوا] الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ـ أم [جَعَلُوا] لِلَّهِ شُرَكَاءَ خلقوا كخلقه﴾ [الزخرف: ١٩] وأمثال هذا في القرآن يطول ذكره مما يدل على كفر بشر وإحلال دمه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ [جَعَلُوا] الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩٠، ٩١] فزعم بشر أن المقتسمين خلقوا القرآن، لا معنى له عنده غيره. فصار القرآن عنده مخلوقًا بخلق المقتسمين له لا بخلق الرحمن. ثم قال: مَن قال هذا فقد كفر وحل دمه، وقد صدق أن مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ [تَجْعَلُونَهُ] قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] فزعم بشر أن اليهود خلقت التوراة، ثم قال: مَن قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة وقد صدق.

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمون وقال: حسبك يا عبدالعزيز، فقد أقر بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم وأشهدني على نفسه بذلك وقد صدقت فيما قلته، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم ما عليه فيه.

فقلت: إنما خاطبت أمير المؤمنين وأستشهده على ما حصل في يدي، وأقر به بشر وأشهد به على نفسه، وعلمت أن أمير المؤمنين قد حفظ عليه كلامه وألفاظه، ولولا ذلك ما اجترأت على أن أحكي عنه حكاية وأستشهد به عليه بها فلم أحصها عليه.

فقال المأمون: صدقت يا عبد العزيز. ثم أقبل عليَّ المأمون وقال تكلم يا عبد العزيز في بيان هذا، في ذكر «جعل وخلق» الذي في القرآن، وفرق ما بين جعل وخلق، واشرح ذلك ليقف عليه من يحضرنا ويعرفه.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولكن إن رأيت أنك تأذن لي فأقول قبل البيان والشرح أشياء في هذا المعنى مما أكسر به قول بشر وأدحض به حجته، وأكسر مذهبه، وأبطل بها اعتقاده.

فقال: قل ولا تُطل، إنما هو شيء أدرسه درسًا.

قال: فقلت: قال الله عز وجل: ﴿**لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**

﴿ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴾ [الإسراء: ٢٢] وقال في موضع آخر لنبيه عليه السلام: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ ﴾ [الإسراء: ٣٩] فزعم بشر أن الله قال لنبيه ﷺ: ولا تخلق مع الله إلهًا آخر، فلا أعظم قولاً من هذا ولا أشنع. وقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء: ٢٩] فزعم بشر أن الله قال لنبيه ﷺ ولا تخلق يدك. والله خلقه خلقًا تامًا مستويًا، وزعم أن الله بعثه رسولاً وليس له يد، ثم خاطبه بعد الرسالة بهذا الخطاب.

فمن أقبح قولاً وأفحش ممن قال هذا؟

وقال الله عز وجل في قصة موسى وفرعون وقوله لموسى: ﴿ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] فزعم بشر أن فرعون قال لموسى وقد بعثه الله رسولاً «لأخلقنك»، فأي قول أقبح من هذا؟

وقال في قصة موسى: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧] فزعم بشر أن الله تعالى وعد أم موسى أن يرده إليها، ويخلقه من المرسلين. والله تعالى أمرها بعد خلقه وولادته ورضاعه أن تلقيه في اليم، ووعدها أن يرده إليها بعد أن تلقيه وهو غير مخلوق.

OBEIKAN.COM

وقال تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم﴾ [النور: ٦٣] فزعم بشر أن الله تعالى قال لعباده: ولا تخلقوا دعاء الرسول.

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥] فوعد بعد خلقهم، فزعم بشر أن الله وعدهم أن يمن عليهم ويخلقهم. وقال الله عزوجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] وإنما خاطبه بالخلافة بعد أن خلقه وبعد أن جاهد في سبيله وقاتل أعداءه، وقتل جالوت، فزعم بشر أن الله عز وجل قال: إناخلقناك خليفة في الأرض.

وقال الله عز وجل عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿ وربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ فأخبر أنهما دعوا ربهما وهما مخلوقان، ما أقبح هذا القول، وقال الله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] فأخبر أنه ما جعل ذلك كذلك تكذيبًا لمن جعل ذلك، وزعم بشر أن الله تعالى ما خلق البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وإنما خلقها الكافر من دون الله عز وجل، ومن قال هذا فقد كفر بالله تعالى.

فقال المأمون: حسبك، فقد أثبتت حجتك في هذه كلها المسألة الأولى، وانكسر قول بشر وبطلت دعواه، فارجع إلى بيان ما قد انتزعت وشرحه ومعانيه وما أراد الله عز وجل به،

OBEIKAN.COM

وما هو من جعل مخلوق، وما هو غير مخلوق، وما تتعامل به العرب في لغاتهم، وفرق ما بين هذا وهذا.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين إن «جعل» في كتاب الله يحتمل عند العرب معنيين، معنى خلق، ومعنى صيَّر، فلما كان خلق خلقًا محكمًا لا يحتمل غير المخلوقين، فكان من صنعة الخالق لم يتعبد الله به العباد فيقول: اخلقوا ولا تخلقوا إذ كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين وإنما هو من فعل الخالق.

ولما كان جعل يحتمل معنيين، معنى خلق ومعنى صير، لم يدع الله في ذلك اشتباهًا على خلقه فيلحد الملحدون ويشبِّه المشبهون على خلقه، كما فعل بشر وأصحابه حتى جعل عز وجل على كل من الكلمتين علمًا ودليلاً فرق به بين جعل، الذي بمعنى خلق، وجعل الذي بمعنى صير.

فأما جعل الذي هو على معنى خلق، فإن الله عز وجل جعله من القول المفصَّل، فأنزل القرآن به مفصلاً، وهو بيِّن لقوم يفقهون، والقول المفصَّل يستغني السامع إذا أخبر به عن أن توصل له الكلمة بغيرها من الكلام، إذ كانت قائمة بذاتها على معناها، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ [**الأنعام**: ١] فسواء عند العرب قال جعل أو قال خلق، لأنها قد علمت أنه أراد بها

خلق؛ لإنه أنزله من القول المفصل، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢] فقالت العرب إن معنى هذا: وخلق لكم، إذ كان قولاً مفصلاً، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: ٧٨] فعلقت العرب عنه أنه عنى خلق لكم إذ كان من القول المفصل فسواء قال خلق أو جعل.

وأما جعل الذي هو على معنى التصيير لا معنى الخلق فإن الله عز وجل أنزله من القول الموصل الذي لا يدري المخاطب به حتى يصل الكلمة بكلمة بعدها فيعلم ما أراد بها، وإن تركها مفصولة لم يصلها بغيرها من الكلام لم يفهم السامع لها ما يعنى بها ولم يقف على ما أراد بها، فمن ذلك قوله عزوجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] فلو قال: «إنا جعلناك» ولم يصلها «بخليفة في الأرض» لم يعقل داود ما خاطبه به عزوجل؛ لأنه خاطبه وهو مخلوق، فلما وصلها بخليفة، عقل داود ما أراد بخطابه.

وكذلك حين قال لأم موسى: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فلو لم يصل «جاعلوه» بـ«من المرسلين» لم تعقل أم موسى ما عنى الله عز وجل بقوله وجاعلوه، إذ كان خلق موسى متقدمًا لرده إليها، فلما وصل جاعلوه بالمرسلين عقلت أم موسى ما أراد الله عز وجل بخطابها وكذلك قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلو لم يقل: «دكًا» لم يعقل أحد ما أراد بقوله هذا، إذ كان خلق الجبل متقدمًا قبل أن يتجلى له، فلما وصله بذلك عقل السامع ما أراد بقوله وكذلك قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فلو لم يصل «اجعلنا» بـ«مسلمين لك» لم يعقل السامع لهذا الدعاء ما أرادا بقولهما: «واجعلنا» فلما وصله بمسلمين لك عقل السامع ما أرادا بدعوتهما، وكذلك قول إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] فلو لم يصل البلد بآمنًا لم يعقل أحد ممن سمع دعاءه ما عنى به وما أراد إذ كان البلد قد خلق متقدمًا لخلق إبراهيم، فلما وصل البلد بآمنًا عقل السامع ما أراد به وما عنى.

ومثل هذا كثير في القرآن يا أمير المؤمنين، والذي تتعارفه العرب التعامل به في لغاتها وخطابها ومعاني كلامها ومخارج ألفاظها هو الذي جرت عليه سنة الله عز وجل في كتابه، إذ كان إنما أنزل القرآن بلسانها والتف على بنيانها، فخاطبهم الله عز وجل بما عقلوه وعرفوه ولم ينكروه، وهذا القول المفصل والموصل.

فأرجع أنا وبشر يا أمير المؤمنين فيما اختلفنا فيه من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] إلى سنة الله

في كتابه في الجعلين جميعًا، وإلى سنة العرب أيضًا مما تعارفه وتتعامل به، فإن كان من القول الموصل فهو كما قلت إن الله جعله قرآنًا عربيًا؛ أي صيره قرآنًا عربيًا وأنزله بلغة العرب ولسانها، ولم يصيره أعجميًا فيبين له بلغة العجم، وإن كان من القول المفصل فهو كما قال بشر إن الله خلقه قرآنًا عربيًا، ولم نجد ذلك أبدًا، وإنما دخل الجهل يا أمير المؤمنين على بشر ومَن قال بقوله؛ لأنهم ليسوا من العرب ولا علم لهم بلغة العرب ومعاني كلامها، فتأوَّل القرآن على لغة العجم التي لا تفقه ما تقول، وأنها تتكلم بالشيء كما يجري على لسانها، وكل كلامهم ينقض بعضه بعضًا، ولا يعتقدون ذلك من أنفسهم ولا يعتقده عليهم غيرهم لكثرة خطئهم ولحنهم وادعائهم لذلك.

وسمعت عبدالملك بن قريب الأصمعي وقد سأله رجل فقال له: أتدغم الفاء في الباء؟ فتبسم الأصمعي وقبض على يدي ـ وكان لي إلفًا صديقًا ـ فقال: أما تسمع يا أبا محمد؟ ثم أقبل على السائل وهو متعجب من مسألته فقال: يا هذا أتدغم الفاء في الباء في لغة أخرى لغة ماني الساساني يقولون [1] فيدغمون الفاء في الباء، فأما العرب فلا تعرف هذا.

(١) كذا بياض بالأصل.

قال عبد العزيز: فاشتد تبسم المأمون من قول الأصمعي ووضع يده على فيه. فقلت: وهذا الذي يأتينا به بشر من لغة أصحاب ماني الساساني.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، يذمنا ويكفرنا ويقول إنا نحرف القرآن عن مواضعه، وقد وضع من شأن القرآن وقدره، وسماه بأنقص الأسماء، ووصفه بأخس الصفات وأقلها؛ لأن الله عز وجل سماه كتابًا عربيًا، وسماه كريمًا، فأخبر عنه أنه تام كامل بقوله: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] وسماه عبد العزيز موصلاً ومفصلاً، فخالف كتاب الله وضعفه، وذم ما مدح الله؛ لأن الموصل عند العرب والعجم وسائر الخلق دون التام الصحيح الكامل، إذ كان الموصل عندهم جميعًا هو الملصق الذي وصل بعضه ببعض، ولفق بعضه ببعضه، فإذا أراد الرجل من العرب وغيرهم أن يضع من قدر الشيء قال هو موصل ملفق وليس هو صحيح، وإن قطع الثوب قيل مفصل مقطع، فسمى عبد العزيز كتاب الله اسمًا ناقصًا ذميمًا، وقال إثمًا وبهتانًا عظيمًا، ولو قلت أنا هذا أوما دونه لخطب وصاح وجلب واستغاث بأمير المؤمنين، وأخرجني عن الإسلام، وهو يقول العظائم اليوم وأمير المؤمنين يحلم عليه، وهو يبغي لحمله عليه.

فقال عبد العزيز فقلت لبشر: وهذا أيضًا من جهلك لما في

كتاب الله. تذمني وتزعم أني سميت كلام الله ناقصاً، وتغري بي أمير المؤمنين وهو أعلم خلق الله بما قلته وأوضحته، وما قلت إلا ما قال الله عز وجل، وما نسبت إلى كتاب الله إلا ما نسبه إليه وارتضاه له، وهو عند العرب الفصحاء كلام جيد صحيح مرتضى، وأنت تزعم أن كلام الله الذي هو من ذاته مخلوق، وتشبهه بكلام المخلوقين مثل الشعر أو قول الزور وغيره، وتنكر عليَّ أن سميته بما سماه الله عز وجل به.

قال بشر: وأين سماه موصلاً ومفصلاً؟

فقلت: في كتابه من حيث لا تعلمه أنت ولا تفهمه. قال: فاذكر ذلك.

قال عبد العزيز: قلت قال الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [**القصص**: ٥١] وهو تسمية الله لقوله وتسميته لكلامه بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير. وقال ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ**﴾ [**الرعد**: ٢١] فامتدحهم بصلة ما يوصل، وأثنى عليهم في غير آية، ووعدهم على ذلك أحسن عدة وهي الجنة فقال: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**﴾ [**الرعد**: ٢٣] الآية. فهذه مدحة الله وهذا ثناء الله، وهذا جزاء الله لمن وصل ما وصل الله.

OBEIKAN.COM

ولقد ذم الله عز وجل من قطع ما أمر الله به عز وجل أن يوصل ولعنهم وجعلهم من الخاسرين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] يعني النار، وقال في موضع آخر: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وهذا ذم من الله عز وجل لمن قطع ما أمر الله بصلته وهذا وعيد الله ولعنته لهم، ثم ذلك المفصَّل في كتابه فقال: ﴿الر، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] وقال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨] فهذا قول الله عز وجل، وهذا تسمية الله لكتابه وهذا نسبة الله عز وجل لقوله واختياره لنفسه، وهو ما ارتضاه الله ورضيه من قائليه.

ثم أقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين، يزعم بشر أني سميت كتاب الله اسمًا ناقصًا خسيسًا، وأني أتيت في ذلك بهتانًا عظيمًا، وإثمًا كبيرًا، وأن العرب والعجم تنكر ما قلت، وأمير المؤمنين ثبت اللغة وأعلم خلق الله بكلام العرب، وما قلت إلا ما قال واختاره وارتضاه لكلامه، وما تختاره العرب لكلامها وتسميه به فتقول مفصلاً وموصلاً.

فقال المأمون: ما قلت منذ اليوم إلا ما تقوله العرب وتتعامل به وتعرفه، وما خرجت عن مذهب العرب، ولو عدلت عن ذلك ما سوغتك الكذب عليها.

قال عبد العزيز: الله أكبر، الله أكبر، كذب بشر ورب الكعبة بشهادة أمير المؤمنين، فأفلحت ورب الكعبة وظهر أمر الله وهم كارهون.

فقال بشر: أوَ على الخلق أن يتعلموا لغات العرب؟ ما تعبَّد الله الخلق بهذا ولا أمرنا به، وكل إنسان يتكلم بما علَّمه الله، وما كلَّف الله الخلق فوق طاقتهم ولا طالب أولاد العجم بلغة العرب.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: فكلف الله الخلق بأن يتكلموا بما لا يعلمون؟ ادعيت العلم، وتكلمت في القرآن، وتأولت كتاب الله على غير ما عناه عز وجل، ودعوت الخلق إلى اتباعك، وكفَّرت أتباعك وكفَّرت مَن خالفك وأبحت دمه، والله عز وجل قد نهى الخلق جميعًا فلم يتجاسر منهم أحد أن يقولوا ما لا يعلمون، فقال للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال لنوح: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] وقال نوح معتذراً إلى ربه معترفًا بخطيئته: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧] وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧] الآية

OBEIKAN.COM

بأسرها. فأخبر الله عز وجل أن من في قلبه زيغ يتبع ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فذمهم بهذا والخبر بذم فعلهم وطريقهم الذي سلكوه.

فقال بشر: اخطب حتى تشبع من الكلام ثم أخاطبك.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن بشراً قد تحير في ضلالته، وعمي عن رشده، وبانت فضيحته، وبطل قوله ومذهبه. فقال بشر: أخبرني يا عبد العزيز تعبّد الله الخلق بأن يعرفوا الموصل والمنفصل؟ وما يضر الخلق أن لا يعلموا ذلك ولا يعرفوه.

فقال المأمون: رجعنا إلى الكلام الأول، قد مضى هذا، وانقطع الكلام فيه، فاخرج منه إلى غيره.

فقال بشر: قد شغلني بكلامه وخطبه عن الكلام الأول، وأنساني ما أحتاج إليه.

فقلت: يا أمير المؤمنين أرأيت أن تأذن لي حتى أجيبه عن قوله؟ قال: افعل.

فقلت: يا بشر، نعم قد تعبّد الله الخلق بأن يعرفوا ذا ويتعلموه لئلا يصلوا ما لم يوصل الله، ويقطعوا ما وصل الله عز وجل.

قال بشر : ائت بحجة ودليل لما قلت .

فقلت : أما سمعت ما قرأت عليك من كتاب الله عز وجل ، وما تلوت من الآيات المحكمات في وصل ما أمر الله أن يوصل وقطع ما أمر الله أن يقطع ، وما وعد الله تعالى هؤلاء من حسن الثواب وعقبى الدار ، وما وعد هؤلاء من اللعنة والعذاب وسوء الدار .

قال بشر : دع ما مضى فما لك فيه حجة واحتج الساعة بشيء أفهمه .

فقلت له : صدقت إنك ما فهمت ما مضى ، وكيف تفهمه وقد منعت من فهمه؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن في بعض ما مضى لكفاية وبلاغًا ، وبشر يزعم أنه لم يفهم شيئًا مما مضى وأنا أتكلم في ذلك المفصل والموصل من القرآن ، وأحتج للعرب في صحة لغاتهم ومذاهبهم .

فقال المأمون : إذا كان لا يفهم ما مضى فكذلك لا يفهم ما يأتي بعد إعادة ما مضى ، وظهرت لك فيه الحجة ، فإن هذا وقت الزوال .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن تأذن لي حتى أتكلم بشيء لم أتكلم به في هذا المعنى لأقيم به الحجة على بشر وأرجو أن

OBEIKAN.COM

يستحسنه أمير المؤمنين من غير إطالة الكلام. فقال: تكلم وأوجز.

قال: فأقبلت على بشر فقلت: زعمت أن الله تعالى لم يتعبد الخلق بمعرفة الموصل والمفصل؟

فقال: نعم هذا شيء لم يتعبد الله الخلق به.

فقلت: أخبرني عمن قال من قال لم يتعبد الله الخلق بمعرفة شيء من هذا أو غيره أو زاد فيه أونقص كان كافرًا يكون صادقًا أم كاذبًا؟

فقال: بل كاذبًا، وإنما أقول إن كل شيء إذا زيد فيه أو نقص منه أو غير ما كان عليه، كان فاعل ذلك كافرًا؛ لأن الله عز وجل قد تعبد الخلق بمعرفته وعلمه.

قلت: فأفتني وأجب نفسك عني، وأقر بما أنكرت.

فقال بشر: دع التشبث عنك وأجب، ودع الكلام وأقم الشاهد والدليل على ما تقول.

قال عبد العزيز رحمه الله تعالى: فأقبلت على المأمون فقلت: قال الله عزوجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] فإن قال رجل: شهد الله أنه لا إله ـ وقطع الكلام

والصلة عامدًا كان كافرًا بإجماع الأمة؛ لأنه يزعم أنه شهد الله أن لا إله، وشهدت الملائكة وأولو العلم أن لا إله، فمن قال هذا عامدًا كان كافرًا حلال الدم؛ لأنه أعظم الفرية على الله تعالى، وأبطل الربوبية وجحد أن يكون الله إلهًا وأشهد الله والملائكة وأولي العلم على كذبه، وإذا وصل الكلمة كما وصلها الله تعالى فقال: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ** ﴾ كان صادقًا وكان قد قالها كما قال الله عز وجل وكما شهد به لنفسه وشهد به الملائكة وأولو العلم.

وكذلك قوله ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [**البقرة**: ٢٥٥] ومثله في القرآن كثير في أربعين موضعًا من التهليل على هذا المعنى ـ من فصل شيئًا من ذلك عن صلته عامدًا كان كافرًا حتى يصله كما وصله الله، وقال الله عز وجل ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ [**البقرة**: ٢٦] فلو قال رجل: إن الله لا يستحي ـ وقطع الصلة عامدًا، كان كافرًا حلال الدم حتى يصل الأول بالثاني كما وصله الله عزوجل، وقال الله عز وجل ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [**الأنعام**: ٥٩] فلو قال قائل: وعند مفاتح الغيب لا يعلمها ـ وقطع الصلة عامدًا كان كافرًا؛ لأنه زعم أن الله تعالى لا يعلم الغيب، ومن زعم هذا فقد رد ما اختاره الله، وقول الله وشهادته لنفسه بعلم الغيب

فهو كافر بإجماع الأمة، فإذا وصل فقال: ﴿لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ كان صادقًا، وكان قد قال كما قال الله، ووصل ما أمر الله به أن يوصل.

فقال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز. فقلت: ومثل هذا في القرآن كثير، فقال: يجزيك من ذلك آية واحدة.

فقلت لبشر: اسمع باقي مسألتك. قال: قل.

قلت: وأما المفصل الذي لا تجوز صلته فهو قول الله عزوجل: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ﴾ [النحل: ٦٠] فمن قال وقطع الكلام عامدًا فهو كافر حلال الدم؛ لأنه زعم أن لله مثل السوء، شبه الله عز وجل بالذين لا يؤمنون بالآخرة فأدخله معهم في المثل السوء، فلو وقف على مثل السوء وقطع الكلام كان كما قال الله، وفصل ما فصل الله ولم يصل ما قطعه الله منه، ثم قال الله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ [التوبة: ٤٠] وهنا الكلام تام عند القراء ثم يبتدئ ويقول: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] فلو قرأ قارئ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ وأراد أن الله أخبر بذلك. فمن قال هذا فقد أعظم الفرية على الله تعالى، وادعى على الله الكذب، ووصل ما فصله الله، وإذا قرأ رجل: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾

OBEIKAN.COM

وقطع ثم ابتدأ فقال: ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ ـ كان قد قرأ كما قال الله وفصل ما فصل الله.

فأقبل عليَّ المأمون وقال: أحسنت يا عبد العزيز وبلغت، فلا يحتاج إلى زيادة.

فقلت: يا أمير المؤمنين مثل هذا في القرآن كثير، فقال: يجزيك من ذلك آية واحدة.

ثم أقبل المأمون على بشر فقال: يا بشر، هل عندك شيء فتسأل عبد العزيز عنه أو تحتج به عليه، فقد ظهرت حجته عليك بالمسألتين جميعًا، وصح قوله وصح ما ادعاه.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، هذا يريد نص القرآن لكل شيء يتكلم به، وهذا مما لا يقدر عليه؛ لأنه ليس كل ما يتكلم به الناس مما يحتاجون إليه من علم أديانهم يوجد في كتاب الله بنص التنزيل، وإنما يوجد فيه بالتأويل. فقال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين كل ما يتكلم به الناس مما يحتاجون إليه من علم أديانهم ويتنازعون فيه منها فهو موجود في القرآن لقوله عز وجل: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] فأخبر الله عز وجل أنه ما فرط في الكتاب من شيء، فعقل ذلك من عقله وجهله من جهله.

قال: فجثى محمد بن الجهم على ركبتيه وقال: يا

OBEIKAN.COM

عبدالعزيز تزعم أن ما من شيء يتكلم به الناس ويتنازعون فيه ويحتاجون إلى معرفته إلا وعلمه موجود بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير؟ قلت: نعم، قلت: وهكذا أقول، فسل عما شئت حتى أجيبك عليه من القرآن بنص التنزيل، فوضع محمد يده على حصير مديبقي مبسوط فى الإيوان، فقال: أوجدني أن هذا الحصير مخلوق بنص القرآن، فقلت: عليَّ أن أوجد ذلك بنص التنزيل.

ثم أقبلت عليه فقلت: أخبرني عن هذا أليس هو من سعف النخل وجلود الأنعام؟ قال: نعم، فقلت: وهل فيه شيء غير هذا؟ قال: لا بل فيه صناعة الإنسان الذي يعمله حتى صار حصيرًا. فقلت قال الله تعالى في النخل: ﴿**أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ**﴾ [**الواقعة**: ٧٢] فهو نص بخلق النخل والسعف، وأما الجلود فقال الله تعالى: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ**﴾ [**النحل**: ٥] وهذا خلق الجلود، وأما الصانع فقال الله عزوجل: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ**﴾ [**الحجر**: ٢٦] فهذا خلق الصانع، فصار الحصير مخلوقًا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير، فهل عندك مثل هذا لخلق القرآن ما تذكره أو تحتج به وإلا فقد بطل ما تدعونه من خلقه، وصح ولم يزل صحيحًا أن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل جهة، وعلى أي جهة تصرفت.

OBEIKAN.COM

فصاح المأمون: يا محمد بن الجهم، خل بين الرجل وبين صاحبه وإياك والمعارضة.

ثم أقبل المأمون على بشر فقال: هل عندك شيء تناظره قبل أن نصرفه ونقوم فقد طال المجلس وصليت الظهر؟ فقال بشر: يا أمير المؤمنين، عندي أشياء كثيرة إلا أنه يقول بنص التنزيل، وأنا أقول بالنظر والقياس، فليدع مناظرتي بنص التنزيل ولينا ظرني بغيره، فإن لم يدع قوله ويرجع عنه، ويقول بقولي، ويقول بخلق القرآن الساعة فدمي لك حلال.

فقال المأمون: نقول لرجل يناظر بالكتاب والسنة دعهما واخرج إلى النظر والقياس؟ هذا ما لا يجوز.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تأذن لي أن أناظره كما سأل ولا أحتج عليه بآية من كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولكن على جهة النظر والقياس، ويكون أمير المؤمنين الشاهد علينا والمتحفظ لألفاظنا، فإن أقام بشر عليَّ الحجة كما زعم وأقررت بشيء مما قال ورجعت عن قولي فدمي حلال كما قال بشر، وإن أثبت الحجة على بشر من جهة النظر والقياس كما أثبتها عليه من الكتاب والسنة، وشهد عليه أمير المؤمنين بذلك فقد حل دمه كما شرط على نفسه.

قال المأمون: وتفعل ذلك ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين على أن بشرًا يجيبني عن كل ما سألته عنه ولا يحيد عن جوابي كما فعل في الأول.

فقال بشر: نعم على أن أجيبك عن كل شيء سألتني عنه، ولا أحيد عنه.

قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك ؟ قال: اسئل أنت، وطمع فيَّ هو وأصحابه، وظنوا أني إن خرجت عن الكتاب والسنة لم أحسن أن أتكلم بغيرهما. قلت: يا بشر إن الله خلق كلامه ؟

قال: أنا أقول إن الله خلق القرآن.

قلت له: يلزمك في قولك هذا واحدة من ثلاث: أن تقول إن الله خلق كلامه في نفسه أو خلقه في غيره، أو خلقه قائمًا بنفسه وذاته ؟ فقل ما عندك.

فقال بشر: أنا أقول إنه مخلوق وأنه خلقه كما خلق الأشياء كلها.

قال عبد العزيز: تركنا الكتاب والسنة عند هرب بشر عنهما وناظرته بالقياس والنظر لما ادعاه وذكر أنه يحسنه، ويقيم عليَّ

الحجة به حتى أرجع عن قولي، وأقر معه بخلق القرآن، وشرط على نفسه إجابتي عما أسأله عنه ولا يحيد عن الجواب، وقد مال بشر إلى الحيدة ونقض ما شرط على نفسه، وأمير المؤمنين الشاهد عليه وهو أعلى عينًا فيما يراه من قطع المجلس وصرفي، فإن بشرًا إنما يحسن أن يناظر من لا يفهم ولا يدري ما يقول، فأما من لا يدعه يخلص كلمة واحدة فلا يقدر على مناظرته.

فقال له المأمون: أجب عبد العزيز عما سألك عنه، فقد ترك قوله ومذهبه وخرج عنه إلى ما ادعيت فهمه ومعرفته، فلا تحد عن جوابه. فقال بشر: قد أجبته ولكنه يتعنت.

فقال المأمون: يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تجيبه عما سألك عنه، فقال بشر ما عندي جواب غير ما أجبته به.

فأقبل عليَّ المأمون فقال: قد حاد بشر عن جوابك، فتكلم أنت يا عبد العزيز في شرح هذه المسألة وبيانها، وما على بشر فيها لو أجابك عنها ليقف من يحضرنا على ذلك.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، سألت بشرًا عن كلام الله، مخلوق هو؟ فقال: نعم، قلت له: يلزمك واحدة من ثلاث لابد منها، أن تقول الله عز وجل خلق كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائمًا بنفسه وذاته.

فإن قال: إن الله خلق كلامه في نفسه، فهذا محال باطل لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول؛ لأن الله لا يكون مكانًا للحوادث، ولا يكون فيه شيء مخلوق ولا يكون ناقصًا فيزيد بشيء إذا خلقه. ومن قال هذا فقد كفر بالله العظيم وحل دمه.

وإن قال خلق كلامه في غيره، فهذا أيضًا محال باطل لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولانظر ولا مقبول لظهور الشناعة والكفر من قبله؛ لأنه يلزم قائل هذه المقالة في القياس والنظر والمعقول أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله، فيجعل الشعر وقول الزور والفحش والخنا، وكل كلام ذمه الله وذم قائليه من كلام الكفر والسحر وغيره لله، تعالى الله عن ذلك.

وإن قال خلق كلامه قائمًا بنفسه وذاته، فهذا هو المحال الباطل الذي لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ونظر ولا معقول؛ لأنه لا يكون الكلام إلا من متكلم كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا القدرة إلا من قدير. ولا رؤي، ولا يُرى أبدًا كلام قائم بنفسه متكلم بذاته وهذا ما لا يعقل ولا يعرف ولا يثبت من قياس ولا نظر ولا غيره. لما استحال القرآن أن يكون مخلوقًا من هذه الجهات ثبت أنه صفة

OBEIKAN.COM

لله عز وجل، وصفات الله عز وجل غير مخلوقة، فيبطل قول بشر من جهة النظر والقياس كما بطل من الكتاب والسنة.

قال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز.

فقال بشر: دع هذه المسألة وأسأل عن غيرها حتى يخرج بيننا شيء يسمع.

قال عبد العزيز: فقلت: يا بشر تقول: إن الله كان ولا شيء وكان ولم يفعل شيء، وكان ولم يخلق شيء؟ قال: نعم هكذا أقول.

فقلت: بأي شيء حدثت الأشياء بعد أن لم تكن شيئًا، هي حدثت بنفسها أم الله أحدثها؟ قال بشر: بل الله أحدثها. فقلت له: فبأي شيء أحدثها؟ قال بشر: بقدرته، قلت: فلست تقول إنه لم يزل قادرًا؟ قال كذلك أقول. قلت: تقول إنه لم يزل يفعل؟ قال: لا أقول هذا، قلت: فلابد أن تقول إنه خلق بالفعل الذي كان عن القدرة، وليس الفعل هو القدرة؛ لأن القدرة صفة من صفات الله، ولا يقال صفات الله هي الله ولا هي غير الله، وهذا يلزمك القول به.

قال بشر: ويلزمك أيضًا أن تقول إنه لم يزل يفعل ويخلق، وإذا قلت ذلك تبينا أن المخلوق لم يزل مع الخالق.

OBEIKAN.COM

قال: فقلت لبشر إني لم أقل هذا، وليس لك أن تحكم عليَّ وتحكي عني ما لم أقل، وتلزمني ما لم يلزمني، إني لم أقل إنه لم يزل الخالق يخلق، ولم يزل الفاعل يفعل فيلزمني ما قلت، إنما قلت لم يزل الفاعل سيفعل، ولم يزل الخالق سيخلق؛ لأن الفعل صفة الله يقدر عليها ولا يمنعه منها مانع.

قال بشر: ما أقوله أنه أحدث الأشياء بقدرته، فقل أنت ما شئت.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قال بشر إن الله كان ولا شيء وإنه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن شيئًا بقدرته، فقلت أنا: أحدثها بأمره وقوله عن قدرته.

فقال المأمون: قد حفظت عليكما قولكما.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لن يخلو أن يكون أول خلق خلقه الله بقول قاله وبإرادة أرادها وبقدرة قدرها.

قال المأمون: هكذا هو وقد وافقك بشر في القدرة والإرادة وخالفك في القول.

قلت: يا أمير المؤمنين، أي ذلك كان فقد تبين أن ههنا إرادة ومريدًا، وقولاً وقائلاً ومقولاً له، وقدرة وقديرًا ومقدورًا عليه،

OBEIKAN.COM

وذلك كله متقدم قبل الخلق ـ وما كان متقدمًا قبل الخلق فليس هو من الخلق في شيء ـ وقد كسرت والله قول بشر ودحضت حجته بإقراره بلسانه بالنظر والمعقول ولم يبق إلى القياس، وأنا أكسره بالقياس إن شاء الله تعالى.

فقال المأمون: هات وأوجز قبل خروج الصلاة.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو كان لبشر غلامان وأنا لا أجد لهما خبرًا من أحد من الناس إلا من بشر، ويقال لأحدهما خالد وللآخر يزيد، وكان بشر غائبًا عني بحيث لا أراه، فكتب إليّ بشر ثمانية عشر كتابًا يقول في كل كتاب منها: ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، وكتب إليَّ أربعة وخمسين كتابًا يقول: ادفع إلى يزيد هذا الكتاب، ولم يقل (غلامي) ثم قدم بشر من سفره فقال لي: ألست تعلم أن يزيد غلامي ؟ فقلت: قد كتبت إليَّ أربعة وخمسين كتابًا وقلت: ادفع هذا الكتاب إلى يزيد ولم تقل غلامي، وكتبت ولم أسمعك تقول غلامي، وأنا لا أجد ذلك إلا منك، ولا أعرف خبره من أحد غيرك.

وكتبت إليَّ ثمانية عشر كتابًا ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، فعلمت بكتابك أنه غلامك، ثم كتبت إليَّ كتابًا جمعتهما فيه فقلت: ادفع هذا الكتاب إلى خالد غلامي وإلى

يزيد ولم تقل غـلامي ـ فـمن أين أعلم أن يزيد غـلامك ولست أعلم خبرهما من أحد غيرك.

فقال لي بشر: فرطتَ. فقلتُ: بشرٌ فرط، فحلفت أن بشرًا فرط، وحلف بشر أني فرطتُ حيث لم أعلم أن يزيد غلامه من كتبه، فأينا المفرط يا أمير المؤمنين.

فقال المأمون: بشر المفرط.

فـقـال بشـر: وإيش هذا مما نحن فـيـه، تريد أن تثبت بهـذا السؤال على ما لم يكن، متى كانت هذه المكاتبة وهذا الكلام؟ فقلت: اسمع حتى نقف على ما أردت.

وقلت: يا أمـير المؤمنين إن الله عز وجل أخبرنا في كـتابه بخلق الإنسان في ثمانية عشر موضعًا، ما ذكره في موضع منها إلا أخبر عن خلقه، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعًا فلم يخبـر عن خلقه في موضع منهـا ولا أشار إليه بشيء من صفات الخلق، ثم جمع بين القرآن والإنسان في آية من كتابه فأخبر عن الخلق للإنسان، ونفى الخلق عن القرآن فقال الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٥] ففـرق بين القـرآن والإنسان فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن الله فرط في الكتاب من شيء، فهذا كسر قول بشر بالقياس.

OBEIKAN.COM

فقال المأمون أحسنت يا عبد العزيز، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، فحملت بين يدي وانصرفت من مجلسه على أحسن حال وأجملها، قد أعز الله عز وجل دينه وأعز أهله، وأذل أهل الكفر والضلال، فلله الحمد على تسديده وتوفيقه كما هو أهله ومستحقه.

قال عبد العزيز: فسُرَّ المسلمون جميعًا بما وهبه الله لهم من إظهار الحق وقمع الباطل، وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفهم من الغم والحزن، وجعل الناس يجيئون إليَّ أفواجًا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفًا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا، فقالوا: لابد أن تملي علينا ما جرى لنعرفه ونتعلمه، فهبت ذلك، وتخوفت سوء عاقبته، فلما ألحوا عليَّ قلت أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يجوز علي فيه شيء ولا حجر في ذكره، فرضوا بذلك مني فأمليت عليهم أوراقًا مقدار عشر أوراق ونحوها مختصرة لأقطعهم بها عن نفسي وعن ملازمة بابي، ولم يتهيأ لي أن أشرح هذا كله مما تخوفت على نفسي مما قد لحقني بعد هذا المجلس وما جرى بسبب الأوراق على الناس وكتبوها عني في كتاب غير هذا ـ وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

تم والحمد لله

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM